

بوتقة الزمن والتقدم للوصول الى أسمى آيات الفكر الإنساني في التنظيم القانوني :

وإذا انتقلنا من التعميم الى التخصيص ، وفي عبارة أخرى اذا تناولنا بوجه خاص العلوم الإنسانية - والقانون بدرجة اخض - وترسّكتا مجال الطسوم الأساسية البحثة ، لوجدنا الفكر الإنساني على مر العصور أشد ترابطًا وأقوى تماسكا ، فلابد في العلوم الأساسية يدور نشاطه حول نقاط معينة توصله اولاً توصله الى نتائج محددة ، لأنها في الغالب امور محسوسة وملموسة . أما في مجال العلوم الإنسانية فالأمور أشد واعق بكثير ، ذلك لانه يقتضي الفوس في اعماق النفس البشرية ليكشف عما بداخليها وما قد تؤثر فيه او تتأثر به ، وهو أمر شاق وطريقه وعرة ومسالكه متعددة ، ولهذا فان العلوم الإنسانية في عصرنا الراهن ويوضعها الحديث ليست موجلة في القدم شأن غيرها من العلوم الأساسية . وليس بغريب بعد هذا ان نرى الفارق المذلل بين التقدم العلمي والتكنولوجي اذا ما قورن بما تسرّ فيه العلوم الإنسانية .

ولعل المرجع في النتيجة آنفة البيان هو ما تنشده البشرية من متع في الحياة يتحققها لها التقدم العلمي التكنولوجي ، فيشدد بريقه جميع الناس ساعين الي كامل مرموق ، اذ ييسر لهم كثيرا من امور معاشهم ، ومن ثم يحظى بمعاناتهم واهتمامهم . والابر على التقييس في العلوم الإنسانية ، ذلك انها تقتضي ان ينظر الفرد الى داخل نفسه يدرسها ويعرف خبائياها ثم يربط مائتها من مشاعر وانفعالات بمحيط عالمه الخارجي ، ليتشدد السعادة والراحة والهدوء ، وهو أمر عسير عليه ولاسيما وان الحياة المعاصرة بمشاكلها المعقّدة لا تترك له فسحة من الوقت للتفكير والتأمل .

على أن هذا لا يؤدى أبدا الى التسلیم بحظ العلوم الإنسانية من التقدم العلمي ، لانه بغيرها لن يكون التقدم التكنولوجي ، فهما مترابطان ، او هما وجهان لعملة واحدة ، فان بدا أحدهما أظهر من الآخر فان هذا لا يعني اطلاقا أنه أكثر منه أهمية ، فاختلال مسار صغير في آلية كبيرة قد يعطلا عن العمل ، ولعل انتشار التقدم التكنولوجي في ارجاء العالم ، ليس مرده نقل الفكر العلمي بذاته - فهذا لا يعلمه الا الخامسة - وإنما نقل آثاره المادية الملموسة لأفراد البشرية .

حكمة الله سبحانه وتعالى جلت قدرته . « والشمس تجري لسترق لها ذلك تقدير العزيز العليم والضربي تدرناه منازل حتى عاد كالمرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القبر ولا الليل سابق النهار وكل في ذلك يسبحون » سورة يس . وإذا كان ذلك شأن المولى القدير لتنظيم هذا الكون في دقة بالغة ، فإن قبسا من هذا النظام لابد أن يضيء الطريق للحياة البشرية فوق هذه الأرض ، حتى تبقى الإنسانية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد سمع الإنسان دائماً منذ نشأته الى مقالوبة كل ما يهدد وجوده محاولاً التغلب على العقبات التي تعرّض طريقه حتى لا ينتهي به الحال الى الفساد ، ومن ثم كان سبيله الوحيد هو تنظيم حياته بصورة توأم مع حياة غيره ، ولا يتّنى هذا الا اذا وضعت لها القواعد والنظم ، على اية صورة كانت وما دامت توصل الى غايتها . وكل ما يصل اليه في هذا الصدد ائمها هو نتاج لفكرة اوججته ضرورة المحافظة على بيته . ومن سمات عصرنا الراهن كثرة النظم والقواعد والاحكام والقوانين التي تدخل الى حياة الناس وتختلف الى درجة خطيرة حتى لا تكاد تخلو منها كل دقيقة تمر في وجودهم .

فالنظام - أو القانون - إن شئت تسميه أسرّ حتى وضروري لبناء البشرية واستقرارها ، وأنه وإن بدا في بعض الأحيان قاصراً عن بلوغ هدفه ، فليس هذا نابعاً من عدم ضرورته ، وإنما عن قصور فيه ، فلم يصل بعد الى درجة من الدقة والاحكام الى تحقق ما يرجى فيه ، وما زالت البشرية في كفاح مع كل ما يحيط بها ، واسعة نصب أعينها تنظيمها يتجدد يوماً بعد آخر وزمنا بعد زمن وفق مقتضيات الحال وتغير الظروف .

فإذا انتهينا الى أن النظام أو القانون ضرورة ، وربطنا هذا بما سبق لنا قوله من أن الفكر الإنساني في وحدة مترابطة ، وأن الآخرين يستفيدون من خبرات الاولين ، وإن يأتوا بالجديد المقيد الا اذا استوعبوا خبرات الماضي وتجاربه في محاولة لتقاضي عيوبه ، وسعياً وراء تقدمه ، لبدأ واضحاً ضرورة هضم ثقافات السابقين وتوسيع أفكارهم ومعتقداتهم لصهرها من

وكان من انرب الدول اليها تحقيقا لاغراضها، الدول العربية وقد تم لها ما ارادت بالنسبة الى كثير من تلك الدول.

وسرت الدول المستمرة في سبيل تثبيت اقدامها الى فرض ثقافتها الفكرية على البلاد التي سيطرت عليها ، بل لقد حاول البعض منها ان يجعل من تلك البلاد جزءا من اراضيها واقليما من اقاليمها .

وكانت الظاهرة الواضحة في الثقافة القانونية في المنطقة العربية — بعد السيطرة الاوربية عليها — انها انقسمت الى فلسفتين واضحتين ، او لهما الفلسفة القانونية اللاتينية التي تتزعمها فرنسا ، والاخري الفلسفة القانونية الانجلوسكسونية وتمثلها المملكة المتحدة . فكانت الفلسفة المسائدة في الدراسات القانونية لدولة عربية متاثرة بتلك الخاصة بالدولة المسيطرة عليها ، وانه وان كانت مصر قد خرجت على هذه القاعدة ، فانما يرجع ذلك الى سبب تاريخي ، هو البعثات التي ارسلت الى فرنسا ، فضلا عن الثقافات التي حاول نابليون نقلها اليها عندما قاد حملته للاستيلاء على مصر ، ولهذا عندما فرضت انجلترا سيطرتها على مصر بالاحتلال ، لم يكن بمقدورها انتلاء جذور الفلسفة القانونية الفرنسية بعد ان كانت قد ثبتت في البلاد . واقتصرت في فرض ثقافتها العلمية في غير المجالات القانونية .

ولم يقف الامر في غالبية الدول العربية عند اختلاف الثقافات القانونية الى الاتجاهين المشار اليهما آنفا ، بل انعكس هذا الامر وظهر هذا الامر جليا في كثير من المصطلحات القانونية ، التي اختلفت في الفاظها ومدلولاتها . فمن المعلوم أن الاحكام القانونية لابد وان تكون منضبطة اللفاظ محددة المطلول حتى تصل الى نتائج واحدة فتستقر امور الناس ولا تضطرب احوالهم نتيجة لخلاف حول تفسير بعض تلك المصطلحات .

ومن اجل ما تقدم اصبح من المألوف للباحث القانونى ان يجد الناظرا ومصطلحات في بعض المؤلفات هي بذاتها تعطى مفهومات ومدلولات مغایرة في مؤلفات اخرى ، تبعا لاختلاف المرجع الذي يستقى منه المؤلف ثقافته القانونية . واحتاج الامر الى جهد لاستيعاب

ان من الامور البالغة في أيامنا هذه هو ذلك الاتجاه القوى — والذى وضعته بعض الدول موضع التنفيذ فعلا او في سبيلها الى ذلك — نحو تقويم احكام الشريعة الاسلامية . ويعنى هذا ان تصاغ احكام التي اوردتتها الشريعة السمحاء وتتعلق بشؤون الناس في حياتهم ومعاشهم في ثوب حديث ، ييسر للانسان الرجوع الى تلك الاحكام وترى ابعادها او المراد منها . ونقول بعض الدول فقط ، لأن البعض الآخر ما خرج في يوم عن اعمال احكام الشريعة الاسلامية على الصورة التي كانت عليها دوما .

وليس من منازع في ان الثقافة القانونية امر جوهري ومطلب حيوى في حياة كل امة ، وبغيرها لن تستقر لافرادها حياة . ولا نعني بالثقافة القانونية في هذا المجال لونا خاصا من انواع المعرفة ، وانما نقصد بهذا قواعد عامة تحكم علاقات الناس المختلفة وترتسب في نفوسهم وتنطبع في وجدانهم ، ويشعرون بأن الخروج عليها يهددهم في امنهم واستقرارهم . وظنك الثقافة القانونية هي التي يصفها المشرع في احكام على صورة مواد مبسطة يسهل الرجوع اليها عند الحاجة .

ولقد كانت — بل وفي رأينا مازالت — احكام الشريعة الاسلامية هي المسائدة في التطبيق لتنظيم احوال الناس في مختلف الدول العربية . ولكن لما اتسعت رقعة الدول الاسلامية صعب على كثير من الناس معرفة احكام الشريعة الاسلامية ، وكان لا بد ان يكون بين ايديهم في طريقة يسيرة وبصورة مبسطة ، ولم يكن هذا بالامر السهل لما يحتاجه من جهد وما يتضمنه من وقت . وفي تلك الآونة كانت التشريعات في الدول الاوربية — بعد ظلام العصور الوسطى وفي اعقاب ثورات التحرر ولا سيما الثورة الفرنسية — قد اخذت في الظهور والانتشار بشكل واسع ، وفي صورة مبسطة ويسيرة وذات احكام جلية واضحة يسهل الرجوع اليها .

وساعد على انتشار تلك الثقافة القانونية في صورتها المستحدثة ، ما طرأ على وسائل الاتصال من تقدم ، سهل نقل الافكار من مكان الى آخر في زمن قصير ولا يمكن ان نغفل في هذا الصدد ما يحيطنا به التاريخ عن امتداد ابصار الدول الاوربية الى الاستعمار ،

أحكامها ولا حاجة بنا الى تعرف ما هو قائم في الثقافات الاخرى؟ وهو تساؤل لا يحتاج الى طول في الماقشة او افاضة في الحجج ، بل ان التعریب في ذاته ضرورة لازمة لتطبيق احكام الشريعة الاسلامية .

ان الاتجاه السائد لتقنين الشريعة الاسلامية واعمال احكامها ليس مبعثه تعصب لفكر ديني او عقيدة دينية ، فهذا بعد الامر عن ذلك النشاط . ولكن سهام النقد والمقاومة لهذا التيار – لسبب او آخر – هاجمت فكرة اعمال احكام الشريعة الاسلامية وكان محور من يقاوم اتجاه التقنين هو القول بأن احكامها وضعت في وقت معين لتناسب حياة الاقوام المعاصرة له ، وهى بهذا لا تصلح للتطبيق في العصر الراهن ، فain ما فيها من نظريات بالمقارنة مع الانكار والآراء المستحدثة والمتعددة يوما بعد يوم . وقد يبدو هذا القول ذو بريق لاسيمما وان سنة الحياة هي التطور والتقدم ، ولكن هلحقيقة ان الشريعة الاسلامية جامدة الاحكام مناسبة للصور السالفة دون العصر الحديث ؟ ان الحكم في هذا هو الذى ييرز حتىة المقارنة بين الثقافة الاسلامية العربية وغيرها من الثقافات ، حتى لا ترمى حركات تقنين احكام الشريعة الاسلامية بالتعصب الدينى . وتلك المقارنة – على ما سبق القول – هي التي تستلزم التعریب .

ويقتضى الحال – قبل ان ننتقل الى تعریف الفلسفة القانونية غير العربية – الى ان نتناول في ايجاز وضع الشريعة الاسلامية في مصد ما ورد بها من احكام، ذلك لأن هدف التعریب في نظرنا ليس قاصرا على تعرف الفكر القانوني غير العربي فقط ، وانما غایته امرين هامين ، اولهما بيان ان احكام الشريعة الاسلامية صالحة للتطبيق في العصر الحديث ، والامر الآخر ان الفكر القانوني غير العربي لم يكن متتطورا مع الایام وحده في الوقت الذي وقفت فيه الشريعة الاسلامية عن التطور .

ان الشريعة الاسلامية تفترق عن غيرها من الشرائع السماوية من ناحيتين ، الاولى أنها تعد آخر الرسائل السماوية ورسولها عليه الصلاة والسلام آخر الرسل وخاتم النبيين ، وليس من بعدها رسالة . وقد اقتضى هذا وجود الفارق الآخر الذى يميزها عن غيرها من الرسائل ، حيث شملت ، فضلا عن العبادات – شأن غيرها من الرسائل السماوية – الاحكام التي تنظم

المصطلحات التي تؤدي مفهوم موحد وان اختلفت الفاظها .

هذا – على ما سلفت لنا الاشارة – هو الوضع القائم في غالبية الدول الغربية ، ويقودنا هذا الى التساؤل عما اذا كان هناك ثمة حل يوصل الى اتفاق في الفكر القانوني يؤدي لوحدة المصطلحات في اللغة العربية . وهذا الامر ينطلي بالضرورة الى الشريعة الاسلامية ، لأن احكامها باللغة العربية التي تجتمع حولها الامة العربية .

ان في رأينا – كنقطة بدء – ان تعریب المعلوم الانسانية ، وبوجه خاص القانونية منها يقتضي تعرف وضع الشريعة الاسلامية بالنسبة الى تلك المعلوم ، ذلك لأن الایمان بما ورد فيها من احكام يؤدى بالضرورة الى تطبيق تلك الاحكام ، وهذا لن يكون بطبيعة الحال الا باللغة العربية ، وقد يبدو غريبا الربط بين اعمال احكام الشريعة الاسلامية وتعریب التعليم العالى ، وعلى وجه ادق العلوم الانسانية . ولكن بالتمدن القليل تبدو أهمية الامر ولزوم تلك الدراسة .

فلقد سبقت لنا الاشارة الى ان الثقافة القانونية الشائدة في غالبية الدول العربية تتسم باحدى الفلسفتين اللاتينية او الانجلوسكسونية ، وقلنا ايضا ان هناك حركة نشطة في تلك الدول نحو اعمال احكام الشريعة الاسلامية في صورة تقيينات مستحدثة . ومن طبيعة الامور ان يقوم صراع بين فكرين ، اولهما المتأثر باحدى الفلسفتين المشار اليهما والذى يتمسك بالمحافظة على ما فيها ، والذى الآخر هو التيار الجارف القائم حاليا في تطبيق احكام الشريعة الاسلامية . ولا شك ان لكل من الفكرين حجمه وأسانيده ، فهو لا يستوحى رأيه من فراغ او يتمسك به حبا في المجادلة .

ومفهوم الصراع بين الفكرين السابقين يعني بطبيعة الامور خلانا حول اسس ثقافة قانونية بلغة اجنبية ، وثقافة اخرى هي الاسلامية والتي كتبت بلغة عربية . ويقتضي الانصاف في الحكم معرفة أعمق وجذور كل من الثقافتين حتى تكون المقارنة والتفسير بينهما على اساس علمي واقعى . ومن هنا كانت أهمية التعریب للثقافة القانونية الاجنبية .

ورب قائل يذهب به الفكر الى التساؤل عن الداعي للتعریب وللباحث عليه ، فما دام الاتجاه السائد في الدول العربية هو تقنين الشريعة الاسلامية ، فلتطبق

شُؤون الدنيا وحياة الناس ومعاملاتهم .

وليس المجال هنا تناول العبادات فأساسها فضلاً عن الإيمان بالله ورسله التمك بالفضائل ونبذ الرذائل ، وفي هذا تتفق الشريعة الإسلامية مع غيرها من الشرائع السماوية ، وإن اختلفت في بعض التفاصيل بسبب فروق الزمان والمكان وسنة التطور في البشرية والصفة الخاصة للشريعة الإسلامية ، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما بعثت لاتهم مكارم الأخلاق .

وأما الأحكام فهي بيت القصيد . فالشريعة الإسلامية كما أشرنا هي آخر الشرائع السماوية وتناولت تنظيم أحوال البشر في حياتهم ومعاشرهم ، وكان من المحتم أن تكون الأحكام التي وردت بها صالحة لتحقيق هدفها ما دامت الحياة على ظهر هذه البسيطة ، ولهذا كان أمراً منطقياً بل وحتمياً أن يقال أن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان .

وإذا أردنا أن نتحقق في هذا الأمر تلیلاً لاستوجب الحال أن نسترجع في ذهنتنا مصادر أحكام الشريعة الإسلامية . ولا خلاف حول أن أول تلك المصادر هو كتاب الله المنزل ، هو القرآن الكريم ، وثاني تلك المصادر هو السنة الصحيحة . ثم يأتي من بعدها الاجماع والقياس ، ويضاف إلى هذا مصادر أخرى اختلف الرأي حولها . ويعنينا فيما نحن بصدده المصدر الأول ، الا وهو القرآن الكريم .

ان من ينظر في القرآن الكريم وما ورد به من آيات الأحكام يستلتفت نظره أنها وضعت قواعد كليلة حتى وإن جاءت مناسبتها في صدد حادثة معينة أو تساؤل خاص . وتلك القواعد الكلية تتضمن علة الحكم وحكمته . ومن ثم فإنه على أساسها وفي ضوء الغاية منها يمكن اعمال الحكم على كل فرض جزئي يثور البحث حول معرفة الرأي فيه .

وورود الأحكام بالقرآن الكريم في قواعد كليلة دون صور جزئية هو ما جعل الرسالة الحمدية آخر الرسالات . ملابسات أحد سنن التطور في الحياة ، ومنها تتطور معاملات الناس وأحوالهم . وتبعداً تثور في حياتهم صور من التعامل ما كانت لتخطر ببال الأولين ، ولابد من معرفة حكمها حتى تسمى أمور معاشرهم . فلو ان القرآن الكريم تناول أحكام الفروض الجزئية ، لانتهينا بعد فترة من الوقت إلى أن من بين تلك الفروض مالا محل لاعماله في العصر الراهن . وإن من الفروض مالا يتناول حكمه ، وما هذه

بصفة آخر الرسالات . ومن أجل هذا كانت القواعد الكلية ، التي في واقعها تواجه كل تطور للحياة البشرية ، ولن يخلو القرآن الكريم من حكم عام يمكن أن ينطوي تحته كل فرض من المسائل التي تعرض في الحياة . وهذا مصادقاً لقوله تعالى « وما فرطنا في الكتاب من شيء » .

وإذا انتقلنا إلى باقي مصادر أحكام الشريعة الإسلامية الأخرى غير القرآن الكريم لا ستلتف النظر أنها كانت في صورة حلول وردود لمشاكل الناس وما يعرض لهم من أحداث يريدون تعرف حكم الشريعة الإسلامية منها . ومن طبيعة الأمور أن تكون تلك المسائل متوازنة مع وقتها وعصرها ومكانتها ، لاسيما إذا ما قارناها بالعصر الراهن ، فما كان يثور من مشاكل في مجتمع قبل محدود العدد لا يطابق أبداً ما يوجد في مجتمع متتطور له كثافة سكانية ضخمة ؛ على أن هذا لا يعني اطلاقاً اختلاف الحلول في العصور الأولى للإسلام عنها في العصر الراهن ، ذلك لأنها تستند إلى أحكام كلية واحدة منبثقه عن مصدر أصيل هو القرآن الكريم .

ومن يطالع المؤلفات والكتب التي وضعت في عصر ازدهار الفتنة الإسلامية يجد لها تسمى على النمط الذي أشرنا إليه ، فهي لاتعرض القواعد الكلية ثم تعمل أحكامها على الجزئيات التي تعرض لها ، وإنما تنطلق في إجابات على الوقائع القائمة والفرضيات المحتملة لمسألة من المسائل التي تتعلق بأحوال الناس سواء في معاملاتهم أو عبادتهم . وكانت تلك سبعة المؤلفات في ذلك العصر ، ولم يكن هذا بالأمر المستغرب فالتابع لسير العلماء المسلمين يجد أن الواحد منهم يدرس كل ما يتعلق بما يعنى التقى فيه ، فيقرأ لفلان . ويتعلم على يد فلان ، وبهذا يجمع ثباتات العلم المختلفة : فإذا ما اشتهر أمره وذاع صيته ، وأصبح له تلاميذ ومربيدون ، سمع الناس إليه يستفتونه في أحوالهم وما يعن لهم من مشاكل ، فيجيب عن هذا ويرد على ذلك ، ومن حوله تلاميذ وتابع يسجلون كل ما يقول ويكتبون كل ما يفتني به . فإذا تجمع له قدر من تلك الآراء جمعها في مؤلف واحد ، بل قد يكون من قام بجمعها واحد من تلاميذه . ويأتي دور هؤلاء من بعده يزيدون ويعلقون . فترة على المتن شروح وشرحوا وكلها تدور في نفس الفلك الأصلي ، أي تعرف حكم

في غالبيتها من المخطوطات ، وما يزال الكثير منها في بعض الدول العربية ، فهي لم تطبع لتنشر على نطاق واسع الا في عهود متأخرة عن كتابتها . ونجد مصداقاً لها في كثير من الكتب التي تصدر في السنوات الأخيرة محققة لتلك المخطوطات .

ولقد وقفت حركة الاجتهداد في الشريعة الإسلامية نتيجة لأسباب خاصة في أحد عصور الحكم الإسلامي على ما هو معروف في التاريخ ، وأصبح الفقهاء من بعد مقلدين ومرددين لتقول السابقين . بل لقد وجدنا من الدول ما يقف عند مذهب معين من مذاهب الفكر الإسلامي لا يخرج عليه ولا يقبل غيره ، بل زاد الأمر خطورة ان وقفت الرأي عند ما قال به السابقون . بل لا تكون مجاهين الحقيقة ان قلنا ان مؤلفات العصر الراهن في الشريعة الإسلامية تسير على نفس النمط الذي سارت عليه كتب السابقين ، فيما عدا بعض التغيرات الطفيفة ، التي لم تمس الجوهر . وترى ان الاطلاع على اي كتاب من كتب الشريعة الإسلامية للمؤلفين المحدثين يجهد القارئ في متابعته كالشان بالنسبة الى مؤلفات من سبقوها من العلماء والفقهاء .

ويعرض لنا تساولان هامان ، أولهما هو هل وقفت احكام الشريعة الإسلامية عن مسيرة احكام التطور في حياة الناس وعلاقتهم حتى يصلح القول بأنها غير صالحة للتطبيق في عصرنا الراهن ، ومن ثم نبحث من ثقافات وافكار جديدة تحكم تلك العلاقات . والسؤال الآخر ، هل هناك رابطة — على اية صورة كانت — بين الثقافة الإسلامية والاخري الغربية ؟ وان وجدت تلك الرابطة ما هو مصدرها وايما اولى بالاعمال والتطبيق .

لقد عرضنا فيما سبق للصورة التي وضعت بها مصنفات الشريعة الإسلامية ، والظروف الاجتماعية التي فرضت تلك الصورة ، و أكدنا ان الحلول الجزئية في تلك المؤلفات تبثق عن قواعد عامة حصلها الفقيه من دراسات على مدى سنوات طوال حتى حق له ان يتولى امر الفتوى . وحتى نجيب على السؤال الاول الخاص بصلاحية تطبيق احكام الشريعة الإسلامية في عصرنا الراهن ينبغي بذلك جهد جديد يوصل الى تلك الغاية ، والأخذ في الاعتبار بطبيعة احكام الشريعة الإسلامية .

الشريعة الإسلامية في حكم الجزئيات والوقائع التي تعرض للناس . وان الرجوع الى تلك المؤلفات او المصنفات يجد في تقديمها اشارات الى ذلك ومصادقات لسانقون .

وما ينفي التقى اليه ان لا تعن الطبيعة الخاصة لتلك الكتب انتقاء الاحكام العامة التي تستند اليها ، بل ان العكس هو الصحيح . فالقى في الشريعة الإسلامية — على ما سللت لنا الاشارة — ما كان يتعرض للفتوى الا اذا لم يباح حكم الشريعة الإسلامية فدرس القرآن والسنة النبوية وكل من سبقته . فهو بهذا تسيطر على ذهنه قواعد كلية واحكام عامة يستندى بها في حل ما قد يعرض عليه من مسائل . وهذا امر لا يتحمل جدلا ، وآية هذا ان المتبع لتلك الاحكام الجزئية يجد بينها انسجاما وانتقادا مما يؤكده انتقادها من منبع واحد . فلو لم تكن هناك احكام كلية تسسيطر على فكر الفقيه لتضاربت آراؤه ، ولا ضطربت فتاواه ، لا سيما اذا اخذنا في الاعتبار خامة المؤلفات التي خلقوها من بعدهم .

وهذه الطبيعة الخامسة للثروة العلمية التي تركها فقهاء الشريعة الإسلامية تتفق مع طبيعة ذلك العصر ، لاسباب عدة . فالمالية التي تسود المجتمعات العربية كانت تدفع بالافراد الى الفقهاء يستقونهم في شؤون حياتهم وهؤلاء يجربون عليهم ، فلم يكن بمقدورهم الرجوع بأنفسهم الى كتب يطلعون على ما بين صفحاتها من احكام . ولم تكن هناك وسيلة في تلك الآونة لنشر المؤلفات حتى تطرح للتداول بين الناس ليسهل الرجوع اليها ، كما هو الحال في العصر الراهن ، اما المدارس التي تعنى بالشريعة الإسلامية فكانت متركزة في اولئك العلماء ومن يحيط بهم من تلاميذهم ، وهؤلاء قلة لا يوفرون بعددهم النشر للكتابة . وطبيعة تلك المؤلفات كانت امتدادا في الصدر الاول في الاسلام ، حيث اعتاد الناس الرجوع الى الرسول عليه الصلاة والسلام يستقونه في امورهم ، ومن بعده من ولد امر المتخفين ، وكان التنسيق في كتب الفقه الإسلامي كان منحصرا في تجمع حلول معينة تحت باب واحد ، ولذا نرى في تلك الكتب عناوين عديدة ، كباب الصلاة . وباب الزكاة ، وباب الجنائز ، وباب الجهاد .. الخ . ومن الملحوظ ان امهات الكتب في الشريعة الإسلامية

بأن كثوز الفكر الإسلامي في مجال العلوم الإنسانية سوف تضيء السبيل أمام الباحثين ، وسوف يتجلى بأوضح صورة أن القواعد الكلية التي تسيطر على الشريعة الإسلامية هي الأصلح دائماً لرعاية أحوال الناس في أمور دنياهم . ومع تلك القواعد الكلية تكون الجزئيات التي قد تختلف من مكان إلى مكان أو من زمان إلى زمان ، ولكنها دائماً مرجعها إلى أصل عام واحد . ولقد سبق لنا القول بأن القرآن الكريم قد أورد الأحكام الكلية ، تاركاً الجزئيات للناس يضعونها الموضع الذي يتفق ومصالحهم . لم تر ان الحدود في الشريعة الإسلامية معدودة ، وإن بباب التعزيز مفتوح على مصارعيه ليدخل منه الحكم إلى كل ما يراه في صالح الناس عامة .

وإذا كان ذلك هو الفكر الإسلامي وصلاحيته للتطبيق في العصر الحديث ، فإن التساؤل يأتي عما إذا كانت هناك ثم علاقة بين الفكر الإسلامي ، والفكر في الدول المتقدمة – وقبل الإجابة على هذا – تنبئي الاشارة إلى أن الفكر الإسلامي قد وصل إلى قمة ازدهاره في الوقت الذي كانت فيه أوروبا ما زالت تقط في ظلام العصور الوسطى ، وتلك حقيقة تاريخية . ولقد امتد الفكر الإسلامي – في مختلف منوف المعرفة – عبر مصر وشمال إفريقيا حتى وصل إلى الاندلس . ولكن هل وقف عند هذا الحد ؟ حقيقة أن العرب لم يتجاوزوا الاندلس إلى فرنسا بجيوشهم ، ولكن الامر المؤكد إنهم تخطوا تلك الحدود بأنكارهم ، فلم تكن سيطرة الحكومات على الدولة الإسلامية سيطرة عسكرية ولا انتهاي امرها منذ أمد بعيد ، بسبب الرقعة من الأرض الواقعة تحت حكمها ، ولكن السبب الحقيقي في سيطرة التنوذ الإسلامى على تلك البلاد يمكن في الثقافة الإسلامية التي أثارت عقول الناس وتقبلوها بصدر رحب ، مع تضمين كلمة الثقافة أوسع نطاقها .

وإذا كان انتقال الجيوش والسلطان من مكان إلى آخر تحدده اعتبارات وظروف مختلفة قد تقيد من حركته ، فالحال على العكس من هذا بالنسبة إلى الفكر ، حيث لا تربطه قيود ولا تمنعه ضوابط ، ومهمها وضع عليه من ضغط محاولاً منه الظهور ، فلابد أن يجد له متنفساً في صورة أو أخرى تعبد إليه الجinia من جديد . وعلى هذا لم تتفق العوائق الطبيعية في يوم

فأنا عن الامر الأول وهو الخاص بالجهد الذي يبذل في مدد التراث العلمي الإسلامي والخاص بالأحكام ، فهو يتطلب أمرين ، أولهما استفراج الأحكام الكلية وردها إلى أصولها في القرآن الكريم وفي السنة الثابتة ، والامر الآخر هو وضعها في الثوب الحديث للمؤلفات العلمية .

ناداً كانت المؤلفات في الشريعة الإسلامية في عصر نهضتها العلمية تدور حول المسائل جزئية تعرض للناس ، فنان الحال يقتضى عملية استقراء لتلك المسائل والوصول عن طريقها إلى القاعدة الكلية التي أوصلت إلى تلك الحلول . وهذه القواعد الكلية يمكن أن يطلق على كل منها مصطلح نظرية ما . فالنظرية ماهي إلا فكر مجرد . يتناول مسألة معينة ويؤدي في جزئياته إلى حلول متناسبة ومتوازنة لا تضارب بينها ، والا افتقدت صفتها كنظرية عامة ، او كقاعدة عامة او قاعدة كلية .

وتاتي بعد هذه المرحلة الأخرى في مدد مصنفات الشريعة الإسلامية ، وهى وإن بدت شكلية إلا أنها في غاية الإلهيبية ، اذ عن طريقها يمكن توصيل الفكر الإسلامي إلى أذهان الكافنة . ويتاتي تحقيق تلك المرحلة في الأساس تلك المؤلفات ثوباً عصرياً ، وبوجه خاص من ناحية التبويب والتنسيق الذي ييسر للقاريء الوصول إلى الحل الذي ييفيه المؤلف . فنحن في عمر اتسم بالسرعة وازدحمت فيه شؤون الحياة وتصارعت مصالح الأفراد ، وأصبحت مشكلة الكثرين – وهم الذين يسعهم الاطلاع على المؤلفات المختلفة – الوصول إلى الوقت الكاف لعمق الاطلاع وطول الآلة في البحث . وهؤلاء ان خربوا بين كتابين أحدهما كتب بالطريقة التقليدية لمصنفات الشريعة الإسلامية والأخر وضع بثوب حديث في تسمياته وتعريفاته ، لا يخترعوا الأخر ، حيث يوفر لهم من الوقت ما هم بحاجة إليه في شأن آخر من شؤونهم ، وهذا ما يفسر لنا ظاهرة انتشار كثير من المؤلفات القانونية إلى دراسة مقارنية مع الشريعة الإسلامية ، وليس مرد هذا هو العزوّف عن البحث في حكمها وإنما هو صعوبة مسالك مؤلفاتها إذا ما قورنت بغيرها . وإننا لنجد ندرة من كتب الشريعة الإسلامية المحققة هي التي خرجت إلى الناس في ثوب حديث .

واما وقد وصلنا إلى هذا فانا نستطيع القول

من الايام عائقاً من نقل الافكار والفلسفات من مكان الى آخر .

واخذنا مما تقدم هل يقبل القول بأن الحدود بين الاندلس التي كان يسيطر عليها المسلمين وبين فرنسا مفتوح اوريا في ذلك الوقت منعت من نقل الفكر الاسلامي والفلسفات الاسلامية الى اوريا . ان الواقع والتاريخ يرفضه هذا الزعم ، ولن تكون مجافين للحقيقة، اذا قلنا ان كثيراً من النظريات التي بناها الفكر القانوني الفرنسي والتي انتقلت الى كثير من الدول العربية كفلسفة قانونية لاتينية ترد في اصلها ومنبتها لثقافته من الشريعة الاسلامية .

وصلوا اليه في الالام بهذه اللغات ، فما من سبيل الى نقلها اليهم الا باللغة الميسرة لهم وهي اللغة العربية . وليس الامر بواقف عند هذا الحد ، بل ان النقل خصلاً ، عما يؤدى اليه من اثراء في المعرفة باللغة العربية ، يجمع ابناء الامة العربية جميعاً حول لغتهم وتبعد تتوحد ثقافتهم وتبرز قوتها في النطاق العالمي . والامر الآخر ان تتوحد المصطلحات التي تستخدم في الفكر القانوني ، فمن الملاحظ اختلافها وما تؤدي اليه من مدلول ، ولا شك في ان توحيد تلك المصطلحات يوصل الى تناسق وتجانس في الفكر ، وتبعد الى وحدة الاصلية الفكرية المستمدة من التراث الاسلامي و العربي .

ونقل الفكر القانوني غير العربي الى اللغة العربية سوف يشجع على الدراسة والمقارنة ثم التأصيل بين مختلف النظم القانونية ، ولسنا ببالغين لو قلنا ان نقل تلك الدراسة سوف تؤدي الى اثبات سمو الفكر الاسلامي والعربي ويشجع هذا الى عملية عكسية ، هي نقل تلك الدراسات المقارنة الى اللغات الاجنبية ، ويعود من جديد الدور الثقافي الذي ينبغي ان تقوم به الشريعة الاسلامية في تطوير الفكر الانساني . ولعل ما يؤيد هذا القول ما يلاحظ من اقبال المفكرين من الغرب على دراسة الانظمة التي تطبقها الدول العربية والمتصلة في الشريعة الاسلامية ، وكذلك اتجاه كثير من الجامعات الاجنبية الى تخصيص اقسام لدراسة الشريعة الاسلامية لمعرفة القوة التي بها والتي يلتقي حولها ملايين البشر .

وخلال القول ان نقل الفكر الانساني في مجال العلوم القانونية الى اللغة العربية هو من اكبر العوامل التي تبرز سمو احكام الشريعة الاسلامية واصالتها ، وانها كانت وما زالت منبع الفكر لغير من الانظمة الحديثة . وذلك خدمة للامة العربية والاسلامية ، ان الوقت ان يسمم فيها كل من تيسر له ذلك مهما قلل النصيب او ضعف الجهد ، فالتضامن والتعاون موصى الى الغاية باذن الله وهو الموفق .

وفي رأينا ان من ثقني ثقافته القانونية في فرنسا وكتب يوماً مؤلفاً في القانون فانه قد جاء متاثراً بالفكر اللاتيني ، وهو يجعل مراجعه فيما يكتب امهات الكتب الفرنسية . ويقف جهد الباحث عند هذا الحد ، الا يعتمد على مذكر حديث في الوقت الذي وقف فيه الاجتهد في الشريعة الاسلامية . وكان هذا هو دور الرواد الاول في الفكر القانوني العربي ، يستوى في هذا من ثقني ثقافته في البلاد التي تمعن الفلسفة اللاتينية او تلك التي تأخذ بالفلسفة الانجلوسكوتية . ولو بذلك اولئك المؤلفين جهداً اكبر وساعدتهم ظروفهم ورددوا الفلسفات الفرنسية — لا سيما اللاتينية منها — الى اصول لها لوجدوا الكثير منها قد استمد من الفقه الاسلامي .

وعود على بدء ، فلقد سبق لنا القول بأن الفكر الانساني وحدة مترابطة ، وحلقات متكاملة في سلسلة واحدة ، وان لكل تطور فيه ملبع مما تغير المكان او اختلفت الايام . وفي رأينا ان الفكر الاوربي والثقافة الغربية لها جذورها في الشريعة الاسلامية ، ولن يتحقق هذا بأمر من الاول منها نقل الفكر الاوربي — وبوجه خاص امهات الكتب في الثقافة القانونية — الى اللغة العربية ، فلم يعد ميسراً لابناء الجيل الراهن الرجوع الى الكتب الاجنبية بسبب المستوى الذي

نظرة في معاجمنا اللغوية

الأستاذ: عيسى فتوح

العرب ، بأن الغيا بباب الحرف الأخير وفصل الحرف الأول للوصل الثاني للكلمة ، واكتنبا بباب الحرف الأول ثم طبعة في ثلاثة أجزاء فقط ، نونرا بذلك العمل الكبير من الوقت والجهد على المراجع .

علة هذه المعاجم جديما هي تحجرها وجمودها ، ذلك أنها تمنى بآيات اللفاظ القديمة حتى ولو كانت غريبة وميّة ، وتحاول توضيحها والاستشهاد عليها بالقرآن والحديث والشعر الذي يحتاج به ، وتهمل كثيرا من اللفاظ والاستعمالات الجديدة التي وردت على السنة الشعراً والكتاب المتأخرين ، فالاحتجاج يقف عند هؤلاء المؤلفين عند نهاية العصر الاموي فقط ، ولا يمتد إلى العصر العباسي ، بحجة أن اللغة نشأت فيها الكثير من اللحن والخطأ على السنة العامة من الناس ، لاختلاط العرب بالاعاجم من فرس وروم واتراك وغيرهم .

الواقع أن هؤلاء العلماء كانوا شديدي التزّمت ، متحفظين أكثر من اللازم ، الامر الذي دفع المستشرق المولندي « دوزي » إلى تأليف معجم ضخم سمّاه « ملحق المعاجم العربية » نشره في ليدن ، في مطلع هذا القرن .

لقد بين دوزي أن وأضيق المعاجم العربية كانوا راغبين عن استعمال أي كلمة لا تمتصلة إلى لغة القرن الهجري الثاني وما قبله ، واقتصرت فيه عند الزمان

لو رحنا نحصي أسماء معاجمنا اللغوية التي الفت على مدى عشرة قرون ، منذ أن صنف الخليل بن أحمد الفراهيدي أول معجم له وهو « كتاب العين » حتى اليوم بلغت العشرات . . . طبع بعضها ، وما يزال بعضها الآخر مخطوطا . من هذه المعاجم المطبوعة الميّة — أما لفظة استعملها ، وأما لاتها توقفت عند عمر معين — يمكننا أن نعد : « الجمهرة » (ابن دريد) ، « التهذيب » (ابن منصور الهروي) ، « الحكم » (ابن سعيد الاندلسي) ، « الجمل » و « مقاييس اللغة » (ابن فارس) ، « أبسال البلاغة » (الزمخشري) ، « النهاية في غريب الحديث » (ابن الأثير) ، « المصطلح المغير » (النيومي) ، « تاج اللغة وصحاح العزبية » (الجوهري) ، « السان العربي » (ابن منظور) ، « القاموس المحيط » « الفيروزبادى » الذي شرحه المرتضى الزبيدي في القرن الثانى عشر الهجرى وزوده بالشوائد الكثيرة في معجمه « تاج المروس » .

هذه المعاجم على كثرتها ، غير كافية لاتها بعيدة جدا عن متطلبات العصر ، وما تتطلبه وسائل البحث الحديثة من سهولة ووضوح وقرب مأخذ ، وانطلاقا من هذا المبدأ فقد عمل الاستاذان يوسف خياط ، ونديم مرعشلي في بيروت إلى تغيير طريقة الكشف في لسان

الازهري ، و «وصاحب» الجوهرى ، و «محكم» ابن سيده ، و «نهاية» ابن الاثير !

المعاجم الحديثة :

استمرت الحال كذلك حتى القرن الثامن عشر ، حينما تنبه المطران جرمانوس فرحتات الطبى (1670 - 1732) إلى ظاهرة توقف المعاجم عند تاريخ معين ، ولاحظ هذه الفجوة الكبيرة بينها وبين لغة ما يكتب وينشر ، فهى في واد ولغة في واد آخر ، فالف معجمه «أحكام باب الاعراب» الذى اعتمد فيه على القاموس المحيط ، والمصادر التى نقل عنها ، فأخذ منها ما اهمله القاموس من الفاظ ، وأضافها إليه من جديد ، وجاءت مكملة له ، ملتحمة بما دته كل الاتمام .

ثم تلاه احمد فارس الشدياق (1804 - 1888) الذى ألف معجمه «الجاسوس على القاموس» في نقد القاموس المحيط فجاء في حوالي سبع مئة صفحة ، وكانت غايته منه الوصول بالمؤلفين إلى أيجاد معجم عربى حديث يستوعب أكبر عدد من الانفاظ الدقيقة المستعملة في أقل عدد من الصفحات .

لم يكتفى الشدياق بهذا القاموس ، بل ألف معجماً جديداً اعتمد فيه على مخارج الحروف وعلى القلب والإبدال اسماء «سر الليل في القلب والإبدال» جميع فيه المردات المتداولة والمترافات ، وما استدركه على الفيروزابادى من الانفاظ والمعانى .

لقد كانت غاية الشدياق من معجمه ابراز نضل اللغة العربية واياضح مزاياها ، والسمى إلى اثباتحقيقة مرونتها ، وأنها غير قاصرة عن استيعاب العلوم والمطلعات العصرية .

ثم سار على منواله في حركة الاحياء اللغوى عالمان لبنانيان آخران هما بطرس البستاني (1819 - 1883) صاحب «محبيط المحيط» الذى رتب مواجهة ترتيباً هجائياً سهلاً ، واقتصرد في الشواهد والنصوص ، وسعيد الشرتونى (1849 - 1912) صاحب «اقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد» الذى لقى رواجاً أكثر بسبب أحكام ترتيبه ، واختصار شواهد .

وما ان اطل القرن العشرون حتى ظهرت العناية

الذى بدا فيه العرب يحتلون مكانتهم في ركب الحضارة العالمية ، ويتقبلون كثيراً من الانفاظ الجديدة التي ترجع باصولها إلى اللغات الأجنبية ، كى يعبروا عن الاشياء والافكار الجديدة .

ان اهمال معاجمنا القديمة الكثيرة من الانفاظ والاستعمالات الحديثة في ازهى عصور الحضارة العربية - كالعصرین العباسى والاندلسى - اصاب اللغة في الصميم وجعلها تفقد جانباً كبيراً من مرونتها وطوابعها ، وتختلف عن مواكبة الحياة ، وتبقيها هيكل محنطة لا يجرؤ اي كاتب او شاعر ان يخرج عن الحدود الضيقة التي رسمتها هذه المعاجم .

ولكى لا يختلط كلام العرب الدخيل بالكلام الفصيح في معجم واحد ، عمد الجواليقى في القرن السادس المجرى إلى تأليف كتاب خامس اسماه «العرب» جمع فيه الانفاظ التي لم تدخل المعاجم ، لأنها جاءت بعد القرن المجرى الثاني ، وكذلك فعل الشهاب الخناجى في كتابه «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» .

لاشك في أن المعاجم العربية القديمة غنية المادة ، تدل على اطلاع واسع ، ومجهود كبير في الجمع والتصنيف ، ولها قيمة تاريخية لا تُنكر ، وستظل خير مورد لنا في معرفة أصول الكلمات ، ومعانها الغربية ، وعباراتها الغامضة ، إلا أنها كثيراً ما تخطى في ضبط الكلمات ، وتكثر من ايراد المترادات والاستشهادات من القرآن والحديث والشعر الجاهلى والاسلامي ، ولا تقبل إلا ما أخذ عن البداية ، وتقف في الاحتجاج عند القرن المجرى الثاني ، ممهلة جميع العصور التي تعاقبت بعد ذلك ، فلم تمثل بذلك العصر الذي جمعت فيه ، وكان اللغة تجمدت عند هذا القرن ، ولم تتطور أو تستفيد من لغات الأمم والشعوب التي ابتزجت فيها ، وصارت جزءاً لا يتجزأ من الأمة العربية .

لقد أغفلت هذه المعاجم قانون التطور الذي يقضى بأن تساير اللغة المصرى ، وتابع سير الحياة والمجتمع الذى عاشت فيه ، بالإضافة إلى ما ورد فيها من حشو وتكرار واجترار ، يأخذ اللائق عن السابق ، حتى إن ابن منظور صاحب اكبر معجم عربى وهو «السان العرب» يعترف بأنه لم يفعل شيئاً أكثر من أنه جمع «تهذيب» .

تد سار فيه شوطا طويلا ، فأكمل المجمع ما بدأ بهنير ، ونشر عام 1956 جزءا منه في حوالي خمس مئة صفحة ، ضمن الفاظا حديثة الى جانب الالفاظ التي كانت سائدة في الجاهلية وصدر الاسلام ، وأخذ بنصيب وافر من المصطلحات العلمية والتاريخية والجغرافية وأسماء الاعلام ، والالتزام بمبدأ تقديم الاقبال على الاسماء والمفرد على المزيد ، واللازم على المتعدد ، والحسى على المعنوي ، والتحقيقى على المجازى .

الا ان المجمع الوسيط الذى صدر بعده بجزئين كبيرين وفي حوالي الف ومئة صفحة لسد حاجة الطلاب والمدارس ، كان اكثر استعمالا ، وأوفى بحاجة الراغبين في البحث السريع والحقيقة ، فقد جاء حكم الترتيب ، واضح الاسلوب ، سهل المأخذ ، مزودا بالصور ، بالإضافة الى احتواه طائفة كبيرة من مصطلحات العلوم والفنون وأسماء الاعلام البارزين ، والاماكن ، على نمط مجمع «لاروس» الفرنسي . والاهم من ذلك كله انه ضم جميع مفردات اللغة تدبیها وحدینها ، وأخذ بما استقر من الناطق الحياة والناس .

كما انه رتب الكلمات حسب نطقها ، لا حسب تصريحها ، اذ لا يستطيع التلميذ الحديث السن ان يسرد الكلمة الى اصلها الثالثي ، لينطلق في معرفة باقي معاناتها – ومثل ذلك فعل جبران مسعود في الرائد ، ومؤلفو المجد الابجدي – ، وسهل الشرح ، وكتب بلغة العصر وروحه ، واكتفى بالضروري من الشواهد لثلاثة يضيع المراجع في متأهاتها وتشعباتها ، وطور اللغة ، فتقاس السماعي ، وتقبل الكثير من الالفاظ المولدة والمحثة او المعرفة ، او الدخيلة ، وفتح المجال للعديد من الفاظ الحياة العامة ، والالفاظ التي أدخلتها الحضارة ، ويكتبه شهرا انه جدد اللغة ، وجعلها عصرية ، وهدم الحدود الزمانية والمكانية التي أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة .

ما أحوجنا اليوم الى معاجم عصرية ، تتجدد طبعاتها كل عام ، فتضم اليها كل ما دخل اللغة من الفاظ حديثة وتبنيها ، لأن لفتنا كغيرها من اللغات لا يمكن ان تعيش معزولة عن سائر اللغات العالمية ، تأخذ منها وتعطيها ، تستقيد منها وتنقدها ، ولا معنى لادعاء البعض ان اللغة العربية قاصرة عن استيعاب مصطلحات

الخاصة بالمعاجم ، ولا سيما الصغيرة الحجم مثل «مختر الصحاح» «للرازي» و «المصاح المنير» «للنيومي» ، لكنهما يظلان ناقصين عن استيعاب الالفاظ والكلمات الحديثة المستعملة التي يحتاجها الكاتب ، وتنقضيتها طبيعية العصر ، الى ان ظهر مجمع «المجد» للاب لويس معلوف اليسوعي في طبعته الاولى عام 1908 وهو مجمع صغير سهل الاستعمال ، تناول طبعاته بسرعة هائلة حتى الان اثنين وعشرين طبعة ، ثم اضيف اليه في الطبعات الاخيرة قسم جديد للادب والعلوم وفهرس للاعلام ، وقد سار في طريقته على منهج مجمع «لاروس الصغير» وخاصة في قرب مأخذة ووسائل ابصاحه ، ولوحاته وصوره ورسومه .

كذلك اخرجت مطبع لبنان معجمين حديثين آخرين هما «الرائد» لجبران مسعود الذي رتبته مواده حسب لفظ الكلمة دونما حاجة للرجوع الى اصلها الثالثي ، وخلال المراجعة يبين ذلك الاصل ويضبط عين المضارع ، اما المجمع الآخر فهو «المجد الابجدي» الذي صدر عن دار المشيق ويتبع الطريقة نفسها ، وفي المعجمين جهد واضح ورغبة ظاهرة في تيسير المراجعة والبحث ، لكنهما اغلا كثيرا من المصادر والجموع ، وشتتا المادة اللغوية في اماكن متعددة .

المعجم الوسيط :

اللغة كل متصل الاجزاء ، لا يمكن ان نفصل حاضره عن ماضيه ، والعربية – كل لغات العالم – لها ماضيها الخالد ، وحاضرها الحى ، ومستقبلها المشرق نكيف نتف بها عند القرن الثاني او القرن الرابع المجري؟ اذا توقدنا بها عند زمن معين – كما فعل علماء اللغة والنحو ومؤلفو الماجم القديمة – قضينا عليها بالموت تضاء مبرما ، ولذلك يجب علينا اليوم ان نؤلف معاجم يتصل فيها حاضر اللغة ب الماضيها ، وينحفظ فيها ما جمد وأهمل لقلة الاستعمال – كما تحفظ الوميات في المتاحف – الى جانب الالفاظ الحية ، والكلمات المستعملة . اللغة كان حى يجب ان تتجدد خلاياه باستمرار لثلاثة يندثر ويزوت ، ومن هذا المنطلق نهض مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1946 لتاليف مجمع كبير آخر وسيط مستعينا بالمستشرق الالمانى الدكتور «فيشر» الذى عنى بالمعاجم العربية ، ورحب ان ينفع فيها نهجا جديدا ، لكن الرجل توفى عام 1949 دون ان يحقق العمل المرجو ، وان كان

المصادر :

- 1 - نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب
(في اللغة والادب والتاريخ والجغرافيا)
الجزء الاول - الدكتور امجد الطرابلسى -
مطبعة الجامعة السورية 1955
- 2 - حركة الاحياء اللغوی في بلاد الشام
- الدكتورة نشاة ظبيان - مطبعة
سمير ابيس دمشق - 1976
- 3 - في اللغة والادب - الدكتور ابراهيم بيومى
محكورة - اقرا - 337 - يناير 1971

العلوم والفنون والتكنولوجيا الحديثة ، وأنها لغة لا تقبل التجديد والتطور .

يمكن أن نشير لفتنا الجديدة جنبا الى جنب مع لفتنا القديمة ، فليستعمل الكاتب ما يشاء من الانفاظ والتعابير ، ولا بأس ان يلجأ الى القياس والتحت والاشتقاق ، عندما تتضمنه الفرورة ، وأن يتذكر الناظرا جديدة وعبارات لم تكن من قبل ، فاللغة تحيا على السنة الناس ، وأقلام الكتاب ، وليس في المعاجم التي تحفظها وتصونها فقط .



الكلمات غير الصحاح في معجم الصحاح

الأستاذ: سميحة أبو مغلي

ويقول الجوهرى في مقدمة صحاحه : قد أودعنا هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله تعالى منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا متواطئاً بمعناتها بعد تحصيلها رواية ، واقتنائها دراسة ، ومشافهتها بها العرب العاربة والمستعربة في ديارهم بباباوية ، ولم آل في ذلك نصحاً ، ولا ادخرت وسعاً ..

و جاء في كلمة الاهداء التي كتبها على السيد حسن شربتلى لطبعه دار الكتاب العربي بمصر - وقد طبعت على نفقة ماليه بتحقيق احمد عبد الغفور عطار سنة 1376 هـ 1956 م - ان الصحاح اول معجم عربي صحيح جمع من الناظر كلام الله عز وجل وحديث رسوله الصادق الامين ما به الحاجة اليه وجمع من كلام العرب ما صح ونقى ، ونفى عن صحاحه ما لم يطمئن الى صحته ونقائه ..

ان فحسب تسميتها بالصحاح او صحاح اللغة انه ضم الكلم الصحاح والمفردات الفصاح من لغة الضاد ، بل لقد توخي الجوهرى مزيداً من التوسل الى الصحة اذ استعمل الضبط بالحرروف لما وجد من طرود التصحيف على نطق الكلمات في المعاجم السابقة عليه ، مثل الجمهرة وتهذيب اللغة (2) .

ولقد لاحظ الدكتور عبد الله ترويش ادى الجوهرى عدة هفوات ، كما افقر كثيراً من الكلمات الصحيحة .

معجم الصحاح من المعاجم المعتبرة العربية ، الفقهى الشقيق أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى سنة 398 هجرية على طريقة القافية ، اي ان المفردات في هذا المعجم مرتبة بحسب حروفها الاواخر ، فإذا اتيحت الاواخر كان التمييز بينها بحسب الاولى ، وبخلاف هذا انك تجد كلمة (علم) مثلاً في (باب الميم) وهو آخر حرف من الكلمة ، وفصل (العين) أول حرف ، كما تجد كلمة (أيسف) مثلاً في (باب النساء فصل البين) لأن الهمزة فيها زائدة على الاصل ، وهذا ..

ولقد كان معروفاً بين اللغويين والمتخصصين ان الجوهرى هو امام تلك المرساة عن اصحاب المعاجم التي اعتمدت نظام القافية في ترتيب المفردات ، الى ان اثبتت الدكتورة احمد مختار عمر ، من خلال دراسته لمجمجم ديوان الاديب للفارابي المتوفى سنة 350 هـ ، ان فضل السبق في ذلك يعود للفارابي . على انه بات من المؤكد الان ان اول (1) من ابتدأ في ترتيب هذا النظام في ترتيب المعاجم هو ابو بشر اليماني بن ابي اليمان المتوفى سنة 284 هـ ، وسار على طريقته كل من الفارابي والجوهرى . ثم تبع نظام القافية بعد ذلك كل من ابن منظور في لسان العرب ، والنميري في القاموس المحيط والصفاني في العباب والزبيدي في تاج العروس والشیرازى في المعیار .

(1) انظر : (في علم اللغة العام) للدكتور عبد الصبور شاهين ص 215 و (الازهرى في تمهيد اللغة) ص 114 .

(2) في علم اللغة العام ص 216 .

الالفاظ المغربية في صحاح الجوهرى

1 - الاناظ المغربية عن الفارسية (3) وهي :
 (مع ذكر الجزء والصفحة من معجم الصحاح ازاء
 كل منها) :

الابريق 4 - 1449 ، الاجر 2 - 576 ،
 الاستبرق 4 - 1450 ، الاسفنت 3 - 1131 ، الاولان
 او الايوان 5 - 2076 ، البارياء والبورياء 2 - 598 ،
 البالة 4 - 1642 ، البالفاء 4 - 1317 ، السرددج
 1 - 299 ، البرق 4 - 1450 ، بسطام 5 - 1872 ،
 البند 1 - 447 ، البهطة 3 - 1117 ، البوس 2 -
 907 ، بيرم 5 - 1870 ، ترهات 6 - 2229 ،
 ترياق 4 - 453 ، جاموس 2 - 912 ، جداد
 1 - 450 ، جريان 1 - 99 ، جربان 1 - 99 ،
 الجرم 5 - 1885 ، الجل 4 - 1658 ، جلامق
 4 - 1454 ، جلسن 2 - 911 ، جهنم 5 - 1892 ،
 الجوز 2 - 268 ، الحب (بمعنى الخابية) 1 - 105 ،
 الخلنج 1 - 312 ، الخورنق 45 - 1468 ،

وان المتبع لحاشية ابن برى او تكملة الصانانى يرى
 كيف انها استدركنا على الجوهرى كثيرا من الصحيح
 الذى تركه مما ذكره الخليل بن احمد الفراهيدى فى
 معجمه (العين) ، وقد عقد السيوطى فى (المزهر)
 ببابا سماه (ذكر ما أخذ على صاحب الصحاح من
 التصحيح) .

ويقف معجم الصحاح ، بمجلداته السبعة ، في
 خزانة كتابى يمكن ينم عن بالغ حبى له ، وعظيم
 تقديرى لصاحبها ، وانتى اذ اقلب مفاتنه مداعبا
 احيانا ، ودارسا او باحثا احيانا أخرى يلفت
 انتباھي وجود كلمات اعجمية مغربية فيه ،
 نيفضنى ذلك للتعرف على هذه الكلمات الغريبة القابعة
 بين ظهراني الكلمات الصحاح ، فاقوم باحصائهما فالقى
 مائتين وسبعين كلمات نص الجوهرى نفسه على انها غير
 عربية الاصل .

وها انذا اصنفها مرتبة حسب مصادرها مرتة ،
 ومجالات استعمالها مرة أخرى ، مع ملاحظات عليها ،
 وتوثيق لها لدى معاجم أخرى .

(3) وعنده الرجوع الى المعجم الفارسي الانجليزى :

للتأكد من ان هذه الكلمات من اصل فارسي بالفعل تبين ان صاحب هذا المعجم الدكتور F. Steingass، University of Munich، ستابنفس يزيد 13 من هذه الاناظ الى الاصول العربية هي : البوس ، ترهات ، جهنم ، الحب ، الخلنج ، الدرهم ، الدورق ، الطاق ، الطبق ، العراق ، النهيج ، الموق ، الملاج . (راجع المعجم الفارسى المذكور فى المصحفات على التوالى 206 ، 298 ، 382 ، 382 ، 298 ، 298 ، 1511 ، 1346 ، 945 ، 815 ، 806 ، 548 ، 508 ، 472 ، 410 ، 410 ، 981 ، 176 ، 298 ، 820 ، 549 ، 820 ، 981 على التوالى) كما ان الدكتور ستابنفس يفضل فى معجمه ذكر 11 من هذه الاناظ مما يدل على انها ليست فارسية الاصل ايضا ، وهي : اسفنت ، البالفاء ، بسطام ، بيرم ، جلسن ، الزنبق ، الزنبلية ، سفاسق ، شفارج ، الشوفور ، الوج . ويقرر كذلك ان خمسة الفاظ مما رسمه الجوهرى بالفارسية هي مشتركة بين العربية والفارسية ، او انه لم يستطع التأكيد على انها مغربية الاصول او فارسية الاصول ، وهى : البرق ، ترياق ، دهليز ، ملنبور ، قندان . (راجع المعجم الفارسى صحفة 176 ، 298 ، 820 ، 549 ، 820 ، 981 على التوالى) كما يقول ان الكلمتين التاليتين هما من اصل يسونانى : المنجنيق والباتوت (انظر صحفة 1324 ، 1527) — وارى ان (المسك) تتحر من اصل هندي لا فارسي ، على تقدير ما يقرره الجوهرى وستانفس (من 1247) كلامها وكذلك ابن منظور فى لسان العرب (انظر ج 10 من 487 والجوالبى فى المغرب من 373 وقد استعملنا اللفظة فى الجاهلية قال الاعشى تخلط قنديدا ومسكا مختما ببابل لم تعمم مجاعات سلامة ودليلى فى ان (مسك) هندية الاصول ان المرب الاولى والمستعربين ظلوا الى وقت متاخر يرون ذلك قال ابو الضلع السندى احد شعراء الموى فى معرض مدحه للهند :

منها المسك والكافور والعنبر والمندل
 واصناف من الطيب ليستعمل من يفضل
 (انظر الحيوان للجاحظ 7 - 50)
 وانظر أيضا « تحقيق بعض الاناظ الهندية المغربية » — مجلة كلية آداب القاهرة عدد 13 من 62 .

اللجم 528 ، كسرى 2 — 806 ، الكعك 4 — 1605 ، الملاج 5 — 2027 ، المثاب 1 — 232 ، المزاربة 1 — 342 ، المزاربة 1 — 340 ، المساق 4 — 135 ، المساق 4 — 799 ، المسك 4 — 1608 ، المتمرج 2 — 1494 ، المنجنيق 4 — 1454 ، المزق 4 — 1569 ، المهنديس 2 — 929 ، الموزج 1 — 341 ، الموق 4 — 1557 ، النشا 6 — 2510 ، المريض 2 — 573 ، الملاج 1 — 351 ، المنداز 2 — 899 ، الوج 1 — 347 ، الباتوت 1 — 271 ، البرنج والارنج 1 — 318 ، البلمق 1 — 1571 · 4

· 2 — الفاظ معربة عن الرومية :

الاتنين 5 — 2016 ، الطريق 4 — 1450 ، حزيران 2 — 629 ، السجنجل 5 — 726 ، شباط 3 — 1130 ، الصبح 1 — 325 ، التمنقة 5 — 2015 ، كانون 6 — 2189 ، ملطية 3 — 1162 ، هرقل 5 · 1849

· 3 — الفاظ من لغات اخرى :

البطاقة 4 — 1450 ، (بلفة اهل مصر) ، اليمار 2 — 599 (قبطية) الحندوق 4 — 1456 ، (قبطية) الزرمانقة 4 — 1490 (عبرانية او فارسية) ، السبابحة 1 — 320 (قوم من السند) السقرعم 3 — 1230 (حبشية) ، قارون 6 — 2182 (عبرانية) · 4

· 4 — الفاظ لم يذكر مصدرها (4) :

الدخار 2 — 655 ، الدربنة 5 — 2112 ، الدرز 2 — 875 ، الدرهم 5 — 1918 ، الدشت 1 — 249 ، الدكان 5 — 2114 ، الدلق 4 — 1476 ، الدمق 4 — 1477 ، الدهليز 2 — 875 ، الدبياج 1 — 125 ، الدبابوذ 2 — 564 ، الدرباذق (والرستاق) 312 ، الدبسق 4 — 1474 ، الزجاج 1 — 321 ، الرميق 4 — 1484 ، الزراج 1 — 1481 ، الزرجن 5 — 2130 ، الزرنين 4 — 1490 ، الزماورد 1 — 2131 ، الزرمانقة 4 — 1490 · 5 ، الزنبلجة 1 — 320 ، الزيج 1 · 321 ، السبع 547 ، السرق 4 — 1496 ، سفاسق 4 — 1497 ، السكر 2 — 688 ، السرج 1 — 322 ، الشلروف 4 — 1381 ، الشخارج 1 — 324 ، الشوفر 2 — 695 ، الصاروج 1 — 325 ، الصرد 1 — 493 ، المصرم 5 — 1965 ، المك 4 — 1596 ، الصولجان 1 — 1513 ، الطابق 4 — 1513 ، الطارمة 5 — 325 ، الطاق 4 — 1519 ، الطرار 2 — 880 ، الطسق 4 — 1517 ، الطببور 2 — 726 ، الطيلسان 2 — 941 ، العراق 4 — 1523 ، الفرانق 4 — 1543 ، الفرزدق 4 — 1543 ، الفرسخ 1 — 428 ، الفنزج 1 — 336 ، الفنج 1 — 336 ، الفنج 1 — 336 ، القبج 1 — 337 ، القرق 4 — 1548 ، القدان 1 — 524 ، القتشليل 5 — 1803 ، توش 3 — 1017 ، القران 6 — 2462 ، الكرباس 2 — 967 ، الكرج 1 — 337 ، الكرد 1 —

(4) وقد بحثت عن هذه الالفاظ في المجمع الفارسي الانجليزى المشار اليه ووجدت ان الدكتور ستانفنس يرد 21 كلمة منها الى العربية وهى آزر ، أسحق ، اسرافيل ، بخت ، بن بنك ، توتياه ، جبت ، حران ، داود ، راتود ، زمرد ، سراويل ، صعفوق ، منجة ، صنم ، صهريج ، طسوج ، طيجن وطاجن ، هزير ، توانيين ·

ولا يعني عزوه هذه الكلمات الى العربية انها عربية فعلا ، بل قد انكرها علماء العربية وقلوا انها غير عربية الاصل ، بل ان بعضها يخالف النسخة العربية مثل منجة وصهريج وطاجن وطيجن اذ لا يجمع في اللغة العربية ملاد وجيم او طاء وجيم في كلمة واحدة · ولكن الغريب ان المعجم القديمة كلسان المقرب والمحيط لم تذكر اصل هذه الكلمات واكتفت بقولها انها مغربية او غير عربية باستثناء (سراويل) اذ جاء في اللسان ج 11 ص 334 وفي المحيط ج 3 من 406 انها فارسية ·

والغرب من ذلك ان بعض المحدثين غزوا (توتياه) الى الالمانية (انظر : فرائب اللغة المغربية للاب رئائل نخلة اليسومي ص 218) · ولست اخال احدا يظن ان هذه اللقطة التي استعملها العرب قبل القرن الرابع المجرى وذكرها الجوهري في معجمه في تلك القرن جاءت من الالمانية او ان الالمانية التقت مع العربية في تلك الايام ·

وقد ذكر الاب انتيليس ماري ، الكزملى في كتابه نشوء اللغة العربية — من 211 — ان اسرافيل عربية · ويرد ستانفنس في معجمه الفارسي الانجليزى الكلتين اصطلح واغریز الى اليونانية (من 68 ، 82 على التوالي) وفق فرائب اللغة العربية من 277 اصطلاح لاتينية ·

الهاون 6 — 2218 ، الملهل 5 — 1852 ، هميان
6 — 2536 ، البارق 4 — 1571 ، يعقوب 1 — 186 ·
وإذا نظرنا في الحالات التي استعملت فيها هذه
الألفاظ العربية المذكورة في معجم الصحاح للجوهرى
فإن يمكننا أن نصنفها حسب الحالات التالية :

- 1 — أسماء أعلام مثل : ابراهيم ، آزر ، اسحق ،
اسرائيل ، بابل ، بسطام ، داود ، سعفون ، عزيز ،
غريزدق ، قابوس ، قارون ، كسرى ، هرقل ، يعقوب ·
- 2 — القاب وأقوام : البطريق ، البيازرة ،
الجرامقة ، الدرابنة ، الصهابحة ، المزارية ، المربيذ ،
- 3 — مدن وأماكن : بغداد ، حران ، جلق ،
الخورنق ، العراق ، القريق ، مارستان ، مارسرجس ،
ملطية ·
- 4 — ملابس : الإبريم ، الاستبرق ، الجداد ،
جرموق ، جورب ، دخدار ، درز ، ديبابوز ، ديساج ،
زمانقة ، سبيحة ، سراويل ، سرق ، شوفن ، طراز ،
طيلسان ، الفز ، الكرياسى ، المساتق ، الموق ·
- 5 — أواني وأوعية : الإبريق ، الباطلية ، البالة ،
الجوالق ، الحب ، الدورق ، الدولاب ، الديسق ،
الراقود ، المصريج ، النيميج ، الكيلجية ·
- 6 — أدوات ولوازم : الأجر ، بطاقه ، بهار ،
بيم النجار ، توتيبة ، الجص ، الخوان ، دبوس ،
زرفين ، الزبيح ، السننجبل ، الشاروف ، الشهور ،
الصاروج ، المولجان ، الصمج ، منجة الميزان ،
الطابق ، الطنبور ، الطيجن أو الطاجن ، القبان ،
المقدان ، التقسىل ، الكوس ، اللجام ، الملاج ،
المنجنيق ، الهاون ، هميان الراهم ·

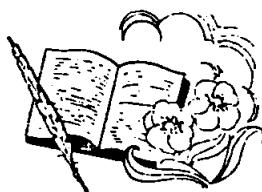
ابراهيم 5 — 1871 ، ابريسم 5 — 1871 ، اجاص
— 1029 ، آزر 2 — 578 ، اسحق 4 — 1495 ،
اسرائيل 4 — 1373 ، اصطبغ 4 — 1623 ، انريز
، 2 — 883 ، اهلينج 1 — 351 ، الباطية 6 — 2281 ،
البخت 1 — 243 ، بغداد و بغداد 2 — 561 ،
يقم 5 — 1873 ، البن 5 — 2081 ، البنك 4 — 1576 ،
النبومى 3 — 1031 ، البيازرة 2 — 589 ، التوتيماء
1 — 245 ، الجبت 1 — 245 ، جريز او قريز 2 —
864 ، 888 ، الجزدة 4 — 1454 ، الجرموق 4 —
1454 ، الجسم 3 — 1032 ، جلق 4 — 1454 ،
جلبلق 4 — 1454 ، الجوالق 4 — 1454 ، الجورب
، 1 — 99 ، الجوسم 4 — 1454 ، الجونة 4 — 1454 ،
الجوهر 2 — 619 ، حران 2 — 627 ، الخوان
5 — 2110 ، داود 1 — 468 ، الدهتان 5 — 2116 ،
الراقود 1 — 473 ، الزمرد 2 — 565 ، الزنديق 4 —
البراويل 5 — 1729 ، السرجين او السرين
1489 — 2135 ،

السترقع 3 — 1230 ، الشبارق 4 — 1500 ،
الشبور 2 — 693 ، صعنوق 4 — 1507 ، الصنع
— 1 — 325 ، صنجة الميزان 1 — 326 ، الصنم 5 —
1969 ، انصهريج 1 — 326 ، طبرزد او طبرزل او
طبرزن 2 — 266 ، الطسوج 1 — 327 ، الطحن
والطاجن 6 — 2157 ، عزيز 2 — 744 ، تابوس 2 —
957 ، البنان 6 — 2179 ، القريق 4 — 548 ، القرز
— 2185 ، القفال 5 — 1803 ، القوانين 6 — 2 ،
الكافح 1 — 430 ، الكزبرة 2 — 805 ، الكوس
— 969 ، الكيلجة 1 — 337 ، المارستان 2 — 975 ،
مارسرجس 2 — 820 ، الماش 3 — 1020 ، المردقوش
931 — 3 ، الناسور 2 — 837 ، النرجس 2 —

كما يقول ستابنوس ان الكلمتين : سترقع وناسور مشتركتان في الاصل بين العربية والفارسية اي انه لا يؤكد اكان اصلهما عربياً او فارسياً ، مع ان صاحب لسان العرب يقول ج 8 من 159 ان سترقع جشية الاصل ، ويؤكد ذلك صاحب المحيط ج 3 من 40 غير ان الاب رفائيل اليسوسي يوافق على ان ناسور فارسية (انظر غرائب اللغة العربية من 246) .
ولا يؤكد ستابنوس الاصل الفارسي الا بالنسبة لسبعين وثلاثين كلمة من هذه القائمة وهي (مع صفحات المعجم الفارسي بازاء كل منها) : ابريسم 8 ، بخت 158 ، بغداد 192 ، بقم 194 ، البوصي 206 ، البيازرة 144 ، جريزا وقريز 1078 ، جرموق 361 ، الجص 364 ، الجوالق 376 ، الجورب 1101 ، الجنوسة 378 ، الجوقة 377 ، الجوهر 379 ، الفوان 481 ، الدعكان 547 ، الزنبق 676 ، السرجين او السرتين 676 ، الشبور 783 ، السننج 798 ، طبرزن او طبرزل 279 ، 808 ، قابوس 946 ، قيان 951 ، قريق 1021 ، الماش 1042 ، القر 968 ، الكلميخ 1009 ، تكريبة 1029 ، الكوس 1061 ، الكيلجة 1070 ، المارستان 1139 ، الماش 1141 ، المردقوش 1212 ، نرجس 1395 ، هاون 1486 ، هلمل (وهو السم) 1506 ، هبيان 1512 ، البارق 1525 .

وبعد ، فان الانفاظ المعرية في معجم الصحاح لا تساوى بالنسبة للثروة اللغوية الفصيحة في العربية نقطة في بحر ، وهى لا تundo في معظمها أسماء لسميات حسية كالاطعمة والاشتريات واللبسة والادوات وأسماء الاشخاص والاماكن ، ومع ذلك يكتفى من هذه الانفاظ لم تعد مستعملة في هذه الايام ، الامر الذى يمكن منه اعتبار كثير من المغريات حلت ضيوفنا على لغة الفضاد ثم استائنت ، وهذا الامر يجعلنى ادمى الى مسم التخوف من التعریب ، ذلك لأن اللحظة التي نعيشها لحاجة اليها في وقت من الاوقات ، او مجرد وصولها اليها عبر وسائل المواصلات الحديثة بعد ان تكون املقت على مخترع او مستحدث وشامت في بلدها ، هذه اللحظة تحل في كرم ضيافتنا وتقبلها سماحة لفتنا ثم لا تثبت ان تعود من حيث اتت حينما يلتف المخترع الذي وسم بها ، او يحل محله مخترع اكثر حداثة منه ، او تنزوى اللحظة بين اسطر المعجم لا يخرجها منه الا باحث او عالم ، وتبقى العربية هي العربية ، وتبقى لغة الفضاد خالدة باصواتها وصرفها ونحوها ونروتها اللغویة ودلائلها .

- 7 - جواهر وحلی : الجوهر ، الزمرد ، الياقوت .
- 8 - ادوية : اهليج ، ترباق ، هليل ، الوج .
- 9 - حيوانات : البخت (من الابل) ، البىرق (الحمل) ، الجاموس ، الدلق (دويبة) ، الرميق (قطيع الغنم) ، التبع (الحجل) ، الملاج (من البراذين) .
- 10 - شهور ومواعيد : حزيران ، قي BAT ، كانون .
- 11 - نباتات وزهور وفاكه : اجاص ، الجل ، الكبرة ، الماش ، المح ، فرجس .
- 12 - اطعمة : النهطة (ارز وماء) الجردقة (الرغيف) ، الكامن (الذى يؤتم به) ، الكمعك .
- 13 - اشرية : الاسفنت ، البن ، الزرجون ، السفرقمع .
- 14 - كلمات عامة : اثنين ، البوس ، ترهات ، جلبابق (صوت طرق الباب) ، جهنم ، جوقة ، درهم ، دكان ، صنم ، قوانين ، تيروان (قاطلة) ، مهندس ، الخ



المصادر والمراجع :

- 1 - معجم الصحاح للجوهري اسماعيل بن حماد
طبع دار الكتب العربي بتحقيق عبد الفخور عطاز 1377 هـ
 - 2 - لسان العرب لابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم
دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر 1374 هـ 1955 م
 - 3 - القاموس المحيط للغويزابادي مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب
طبعة بولاق 1272 هـ
 - 4 - معجم ديوان الادب للفارابي أبي ابراهيم اسحق بن ابراهيم
تحقيق الدكتور أحمد مختار عسر - مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1974 م
 - 5 - المعجم الفارسي الانجليزي (طبعة مصورة) - مكتبة لبنان - بيروت 1970 م
- Persian English Dictionary by : F. Steingass,
University of Munich.
- 6 - المغرب من الكلام الاعجمي للجواليقى ابن منصور موهوب بن احمد
تقديم وتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام - مطبعة دار الكتب 1969
 - 7 - غرائب اللغة العربية للاب رفائيل نخلة البسواني
المطبعة الكاثوليكية - ط 2 بيروت
 - 8 - نشوء اللغة العربية للاب انتناس ماري الكرملى
المطبعة العصرية بالجالية 1938
 - 9 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطى جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن
شرح وضبط محمد احمد جاد المولى وزملائه - ط 4
دار احياء الكتب العربية بالقاهرة 1958
 - 10 - ف علم اللغة العام للدكتور عبد الصبور شاهين
مكتبة دار العلوم - شارع المتبيّن - القاهرة 1974
 - 11 - الحيوان للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر بن محجوب ، تحقيق عبد السلام هارون
مطبعة الحلبى 1357 هـ
 - 12 - مجلة كلية الآداب (القاهرة) ج 1 عدد 13 لعام 1951 م 62 (تحقيق بعض الكلمات الهندية المغربية
للدكتور محمد يوسف)
 - 13 - رسالة دكتوراه (الأزهرى في كتابه تهذيب اللغة) لرشيد العبيدى بمكتبة جامعة القاهرة

تعريف كلمات متداولة

وكلمة عربية واحدة لفولchlor

الأستاذ : محمد شيت صالح الحياوي

اسفلت : — زفت — ومنه تزفيت الشارع والأدري
أى الكلمتين هو الأصل فكلتاها مستعملتان بمعنى
القار أو القير .

ماكتة : — وزنها عربي (فاعلة) متداولة تجمع
على ماكتات لا ماكتن كما هو شائع .

تلفزيون : — بوزن آذريون (زهر أصفر) وقد
سماتها البعض تلفازاً وأخذ منه تلفز تلفزة . ولا أدرى
لماذا ذكرت — مرناة — بكسر الميم — وهي من البعض
رنا يربون الذي يشترك في معناه السمع والبصر والجمال
وغيرها من الصفات الأخرى التي تتعلق بهذه الآلة ؟
نهل نطلقتها على التلفزيون أيضاً بعامة أم على الملون منه
بخاصة ؟ !

فلورسنت : — فلرس أو فلرسست مثل فهرس
وفهرست بحذف حرف الزيادة ومنها فلرس داره ، الخ
تلفون — هاتف : — يستبدل بالثانية مهنته بكسر
الميم لأن الهاتف وزن ومعنى الفاعل في حين نعني الآلة ،
فالاصح مهنته بوزن قيلسي اخترناه من ثلاثة .
يرى بشد : مقتنيات — بضم فسكون فكسر ،
للحيوانات قصيرة الأرجل ، مني المعجم اقتصرت المرأة
ولدت تصاريحاً .

ال الحديث عن التعريف جديد دوماً لا يمل ولا يصدأ ،
ليس له موسم خلمن ولا وقت محدد لأننا كنا ولأنزال
وسنبقى في حاجة إليه لأنه من أهم التضاعيا اللغوية
ان لم يكن أهمها فلننفعه نصب معيوننا ولنشتغل فيه
بحثاً ودراسة ومعالجة حتى تتحقق العربية بل تبذل غيرها
من اللغات لا في الميدان الذي نحسب بل في الميدان
العلمي وغيره من الميدانين الحيوي والحضاري ، لأن
لهما من الامكانيات والتاليبلات والمرؤونات والذخائر
والاتساع والفنى والعمق والشمول ما يؤهلها لأن تتبعوا
الصدارة وما يشجع العلميين والمختصين للسير بها
والارتفاع بمستواها حتى نهاية المطاف ويبلغون المدى
سيراً لا ينفك مواكبها سنة التطور وسلم التكامل وتقدم
الحضارة .

من أجل ذلك غذت السير — قدر الامكان —
للمساهمة في هذا الميدان ، وهنذا أكتب بعض ما مسر
علي أو خطر بيالي من كلمات أجنبية أو منحرفة أراها
كثيرة التداول في مصحفنا وأذاماها وغيرها من وسائل
النشر والأعلام مجتمعاً أن أضع بدلها كلمات مربية
مضبوطة تقوم مقامها عليها تحظى بالرضاء والقبول من
أرباب العلاقة واللغة والاختصاص وذلك كما يأتي :

وعلى ذلك نقول : كاتم الجمعية وكاتمية الجمعية بدلا من سكرتارية . وعلى ذكر الكاتم فلنسم المدرس كاتم الصوت مكتاما - ب Kramer الميم !

رجل دين أو عالم ديني : — رَبَّانِي — يفتح الأول
وتنعريف الثاني والجمع رَبَّانِيُونَ . فالكلمة أسمى من
الكلمتين لفظاً وأدق منها معنى وإن كان هذا لا يحول
دون استعمال التعبيرين السالفين فلكل موقعه .

طليارة ، طائرة : — كلمة مشتركة تسبب الالتباس
هي وجمعها فتارة تطلق على الآلة و بتارة على قائلتها مما
العمل ؟ هل نخصص — الطيارات — للآلات كما نخصص
— الطواير — للنساء ؟ فالاقتراح هذا حتى أن قبل ملن
يحل غير مشكلة الجمع وتبقى مشكلة المفردة . فحلا
لالمشكلة من جانبها لم أجد أولى من وضع كلمة —
طائرةية — بباء النسب لمن تقود الطائرة وجمعها
لطريات وبذلك تنجو من الالتباس .

الطبقة العاملة : — الطبقة العمالية — ففي النسب
إلى الجمع هنا معنى خاص يتميز بالوضوح والدقة .
أرباب العمل : معمليون — وصاحب المعمل معملي .
معلم نسيج — منسج — بفتح الميم جمعه مناسج .
محطة تعبئة البنزين ، بانزين خانة : — بـنـقطـة
منتم الميم جمعها مناقط ومنقطات .

كوزنيتش : - مشطاً - بفتح فسكون جمعه
مشاطيء ، وهو يختلف عن الشاطيء لأن الاول اسم
مكان مصنوع اي شارع محدد ميلط ومنظم يحاذى النهر
او البحر اي هو جزء من الشاطيء الطبيعي لاكله .

واخيرا بقيت كلمتان متداولتان رغبت ان لا ينتهي
البحث دونهما اعني — المؤسسة — و — المنشأة —
بضم اليمين وفتح السين والشين . فباعتبار هم
مصطلحين جديدين تكون التسمية مقبولة لا غبار عليهما
ولكن اذا نظرنا اليهما من حيث المعنى فان المنشأة
الرسمية وغيرها في الحقيقة ما يشملها التأسيس او
الإنشاء لانه تعبير عام فحيذا لو استبدلناها — بالمرجعيات
— و — المصدرية — وذلك بان نجعل الاولى للدائرة
او المصلحة التي يؤتمها المراجعون كثيرا كما نجعل الثانية
للت . لا يتعدى علينا الماطعون او لا يأتونها الا لما .

جينوسايد (1) : — الحق الكلى ، الإبادة العامة ،
التقتيل ، والأخيرة كلمة واحدة تجمع على تقاييل اذا
اردنا مضاعفة كثرة القتل .

أرشيف : - منجل - بفتح فسكون مفتح جمه
مساجل ومنها أُرْشَفَةَ مَسْجَلَةَ تكبيك : وسائلية :

ستراتيجية : - خططية ، بكسر الخاء

مليشيا : — حذفت أحرف الزيادة وكانتها عربية ورجعت إلى مادة — ملش — في المجمع فإذا هي : ملش الشيء ملشا فتشه يبه كأنه يطلب فيه شيئاً !

انلا نستطيع تخرج هذا المعنى لحمله على
الاتسجام مع معنى ميليشيا ثم نقول ملشية ملشيات
بالباء المضمنة ؟ فان لم يقبل هذا التعرير فعندها الردبة
او المسلاحة .

ابيولوجية : - كان في الامكان ترجمتها
كلمة نكرة - مذهب - لو لم يكن معنى فكرة عاما ونحن
نريده خاصا فما السبيل ؟ لو رجعنا الى المعاجم لوجدنا
نكرة ووجданا نكرا - بالالف المقصورة - ايضا -
معناها وجمعها واحد نكر بكسر ففتح الاولى متداولة
والثانية مهملة ، مما يالنا لا نفرزها وجمعها منجمل
نكرة نكر للعام ونكرى نكريات الخاص - المذهب -
ما يحياء لفظة متروكة سداً للحاجة ؟

لوبى : - معناها رواق ، ردهة أو دهليز . وقد استعملت مجازا لتدل على الوصوّلين ذوى التفوّذ . أفلأ يجوز أن نستعمل مقابلتها لفظا عربيا مشابها هو - لوب - لخرج معناه حتى يطابق المعنى الاجنبى او يلتقي معه ؟ وهكذا نكون قد وضعنا اصطلاحا شعرا و معينا في آن واحد كما فعلنا في ملائشيا .

سكرتير : — شاعت هذه الكلمة كثيراً في حين
عندنا ما يقابلها ويعرض عنها كلمتا مؤمن وناموس فقد
استعملتا ثم تركتا ربما لنقلهما لفظاً ، فان لم تقيا بالغرض
فهناك تعبير كاتم السر — الذى استعمل هو الآخر ثم
ترك ربما لانه مكون من كلمتين . اقول ليس بضرورة
التمسك بالكلمة الثانية بل يجوز حذفها دون أن يؤثر على
المقصود من المعنى . لأن الكتمان يختص عادة بالابرار

١) الكلمات المارة وجدناها مجرد غيرة معرفية لا الاخيرتين حيث خالفتنا نيهما هنا كاتبها الاستاذ محبي الدين اسماعيل في صحيفه الثورة البغدادية العدد 2944 في 2 - 3 - 1978 .

الشعبي — المتداول الذي جرى استعماله وصار مألفاً وما أدرك من أوجده ومتى بدا استعماله ؟؟ وثانيهما — ثقافة العوام — المهم : نقله الكاتب عن الاستاذ محمود العبطا عن مجلة الثقافة البصرية 1948 عن كاتب بغدادي مجهول .

نائى منها يطابق معناه ترجمة فولك لور مطابقة تامة ؟ الواضح من شرح الكاتب — معنى فولك — لور أن معناهما معاً هو — الثقافة الشعبية — وبناء على هذا فهى كل من التعبيرين المار ذكرها انحراف وتجلوز في الترجمة ولكنه مغىد كما سنرى .

فالمتداول استعمل التراث بدلاً من الثقافة والمهم استعمل العوام بدلاً من الشعب اي ان كلاً منها كان مصيباً في كلمة مخططاً في أخرى فكيف السبيل اذا وهل لا مناص لنا من تعبير — الثقافة الشعبية — يا ترى ؟

لنسأله أينما في كونه مركباً من كلمتين ومتراجماً حرفيَا عن لغة اوربية نهل يفى بالرام ويعبر عما نفهمه نحن لا غيرنا من علم المأثورات الموروثة ؟

الجواب كلام ثم كلام : لأن الثقافة الشعبية شيء آخر يختلف عما نقصده وليس علينا هو الثقافة او

في العدد السابع من السنة الثامنة — 1977 — نشرت مجلتنا العاصرة — التراث الشعبي — مقالاً للأستاذ الفاضل عبد الحق فاضل بعنوان — تعريف اسم الفولكلور — دعت في تقديمها المتكلمين الى ابداء آرائهم بخصوص كلمة فولكلور .

فنزولاً عند رغبتها واسهاماً في خدمتها سالقى دلوى في الدلاء واشترك مع الباحثين — متعاونين عساناً ان نحظى بما هو مطلوب ومأمول .

فالمقال يضم فيما يضم اربعة تعبيرات كل واحد منها يقابل معنى فولك لور الاوربية وهي : التراث الشعبي ، ثقافة العوام ، الخلقيات ، والتقنيات ، فلندرسها لنرى أيها الأقرب والائلع الى معنى فولك لور وهل فيها تعبير كامل مطابق للمعنى مطلقاً تامة او زائدة للدلالة على ما يحتويه ذلك العلم الشامل والموسعة العظيمة من ابحاث ودراسات طويلة عريضة في موضوع المأثورات الموروثة من المعرفة الراوية التي انتقلت اليها جيلاً بعد جيل باقية بعضها متصلة وضائعة وبعضها الآخر منقطعاً .

لقد بدا لي أن المقارنة بين التعبيرين الثنائيين هي التي ستهدينا الى سواء السبيل . فأولهما — التراث

ثم خصص في الاوربيات بمعنى المخلوقات البشرية وهو مثل — الخلق — ايضاً كان يعني المخلوقات بعامة ثم تخصص بالبشر ٠

اننا لا نعارضه لأن كلمة — فلق — مستفربة فكل جديد هو مستغرب عند ظهوره حتى اذا مر عليه زمان ولاكته الاسنة وخطته الاتلام صار متربده مالوفنا واستعماله مأتوساً . ولكننا لا نوافقه فيما ذهب اليه ، فلاندري هل الاوربية اخذت من العربية ام على العكس؟ ومن يستطيع ان يجزم اذا تشابهت بعض الاحرف في كلمتين واحدة في سببها مثلاً والاخرى في حضرموت مؤكداً ان اصلهما واحد وذلك بتقليل اللفظ والتلاعب فيه ثم تقليل المعانى وتحويرها واصطيادها وتخريجها وتعليق بعضها ببعض حتى تلامع مع تصوره وما افترضه مقدماً من وحدة الكلمتين ٠

فلو سلمنا جدلاً بأن ما قاله صحيح وان الاوربية هي العربية محرفة وأن بضااعتنا ربت علينا انليس في كل هذا تقليد ومحاكاة للغير الامر الذي يدل على انقلابنا واجبتنا ان لم يكن للكلمة ومعناها ئالي الاصطلاح الغربي الذي سارت عليه . اي تكون قد نقلنا شيئاً غربياً ثم وسمناه بكلمة من عندها لم يخطر على بالها يوماً ان تتقمص روحها جيداً على مذهب التماستخ ١؟ فان تجاوزنا هذا ايضاً نماذراً ن فعل بالمعانى المعجمية ٢ هل نختار واحداً فحسب ثم نخصمه اي نقيده ونجعله مصطلحاً تقليداً ونقلنا عن الغير تاركين او ملغين المعانى الأخرى وذلك بحذفها ومحوها من القاموس؟

ان الفلق معجياً ليس له معنى واحد فحسب هو المخلوقات كافحة ثم خصص بالبشر مثل كلمة — خلق — ايضاً بل له معانٍ أخرى كثيرة هي : الصبح . بيان الحق ، بعد اشكال . المطمئن من الارض بين ريوتين . جهنم ، الشق في الجبل ، مائيقى في اللبن في أسفل القدح ، يقال في التحقيق (يا ابن شارب الفلق) . عود يربط حبل من احد طرفيه الى الآخر وتجعل رجل المجرم داخل ذلك الجبل وتشدآن فيضرب عليهما . والفلق من اللبن المقطوع حبوبة . فإذا نسبنا الى الكلمة وقلنا — الفلقى — فاي المعانى هو المنسوب اليه فلين هذا من قول الكاتب — وكما ينبعى في المصطلح توخي النقطة الواحدة ينبعى توخي النقطة ذات المعنى الواحد تقابلاً من كل التباس

التحقيف بل هو التراث المؤدى الى الثقة والى غيرها من الاغراض كما أنه — اي العلم — لا يتناول الشعب جميعه او الامة كلها بل يبحث ويعالج نوعاً وصنفاً منها اي ما يتعلق بالعوام من الناس تحسب . فلو كان للشعب او الامة لما اختص بجزء او فريق منها ولا كان ثمة حاجة لفرز العوام عن الخواص بل كان علماً يبحث ما خلفه الشعب او الامة وما ورثه وأورثه من مآثر معنوية مقوله عرفاً او تقلیداً او تلقيناً وما مآثر مادية خرساء كالاطلال والمخور والاطيان والمعظم وناظفة كالخطوطات والطبعات والنقوش والرسوم سواء كتبت باللغات الفصيحة او باللهجات العامية . فليكن هذا من ذاك .

لند اذا الى ماسبق ذكره فنجد ان التعبير المداول قد خطأ خطوة واحدة نحو الهدف المنشود كما نجد التعبير المهم قد خطأ هو الآخر خطوة واحدة ايضاً نمبابالنا لا نخطو الخطوتين مما فنجمعهما في تعبير مشترك ونقول — تراث العوام — او التراث العامي — وهو تعبير ملائم وموفق لانه ينطبق على ما شرحناه آننا انطباقاً يكاد يكون تماماً لولا انه مكون من كلمتين :

نهل حلتنا المشكلة او جزء منها وما العمل وهل عجزنا عن اكتشاف كلمة واحدة ام ان لفتنا كانت قاصرة في هذا الميدان فلم تستطع اسعافنا وقضاء حاجتنا؟

بالحسن الحظ ، ما أروع الكلمة او الصدفة التي عثرنا عليها فقد انفتحنا ومحى حيرتنا ومنحتنا ما نريد .

انها كلمة — عَمَّ — بفتحتين وزن — شمم وقطم — وهي اسم جمع للعامة ، تتوافر فيها جميع الشروط التي وضعتها الكاتب بصورة مطلقة لزيادة فيها ولانتقامان .

وها نحن نقارن بين ما توصلنا اليه وما جاء في المقال من اجزاء ونقاط مناقشين ومخاضلين تؤيد مائراته مستقين وتنتقد ما نرأه منحرفاً ، فالكاتب يقترح استخدام كلمة (فلق) العربية وان كانت مستفربة عنده مقابلة — نولك — الاوربية لسبعين :

أولاً : لأن الثانية اخذت من الاولى اصلاً بدليل تقاريبيها باللفظ والمعنى .

ثانياً : (لأن الفلق معجياً : هو الخلق كله بعامة

ثالثاً - لا يمكن أضافة - التراث الشعبي - إلى العراق على شكل - تراث شعبي العراق - كما تفضل الكاتب ولكن يمكن أضافته على شكل آخر هو - تراث العراق الشعبي - وبالاحرى العامي .

وخلالمة ما قدمته ان الكلمة الواحدة المطلوبة والماملولة التي دار البحث والنقاش للتفتيش عنها واحضرها هي كلمة - تراث - وهي تفي بالمراد وسيلة وغاية . وهذا لا يعني أن نترك المرادف الثنائي - تراث العام - أو التراث العامي لأن سمعة التعبير من خصائص العربية فقد نستحسن أحد المقترفين في موضع ولا نستحسن في موضع آخر فكل مقال .

ونطبيتنا لما سبق نهل نستطيع أن نسمى مجلتنا: - التميميات - أو - التراث العامي - أو تراث العام - أو التراث العامي - بدلاً من التراث الشعبي - وهل نقول - المركز العامي - أو - مركز التميميات - أو مركز تراث العام بدلاً من المركز الفلكلوري . والذى ليس للفظه ولا لمعنى علاقته بمعريتنا واصطلاحنا كما رأينا وهل نقول - العميميات - أو - علم تراث العام - أو - العميميون - بدلاً من علم التراث الشعبي والمهتمين به . سنرى .

فما غایيتنا سوى الوصول الى الانضل بجهود اي من الباحثين المشكورين والمستحقين الثناء وأجر الاجتهد على كل حال .

ملتجاوز هذا ايضا نهل يتفق ذلك مع شرحنا - للتراث الشعبي - فنحن هناك لم نقبل كلمة شعبي لأن معناها أوسع مما نقصد ونفهم نكيف نقبل كلمة فلقى بمعنى بشري لا بمعنى كوني وهي أشمل اتساعا ، فبناء على ذلك كله أعتقد ان مقترح أخينا بعيد عن اصابة الهدف ولا محل له من الاعراب .

وما يتبناه عن - الفلق - يصدق معظمها ايضا على - الفلق - الذي استعملته تركية (لا تركيا) بقى قول الكاتب (لم يستطيعوا النسبة الى التراث الشعبي فنسبوا مرکزه الى الفلكلور باعتباره كلمة واحدة يوم دعوه دعوه المركز الفلكلوري وهنا يظهر قصور مصطلح - التراث الشعبي - لأنه من كلمتين ولو انه صحيح من حيث المعنى كذلك لا يمكن أضافة - التراث الشعبي - الى العراق مثلاً فيفضطرون الى استعمال الكلمة الفرنجية هنا ايضا في قولهم - فولكلور العراق - فلا يقال تراث شعبي العراق وهذا (لي على هذه العبارة بعض الملاحظات :

اولاً - فولكلور ليس كلمة واحدة بل كلمتين بدليل شرح الكاتب نفسه في مكان آخر ولكن يمكننا أن نتساهل ونقول - باعتباره لنظا واحدا .

ثانياً - مصطلح - التراث الشعبي - ليس صحيحاً من حيث المعنى والترجمة بل صحيحة - تراث العام - أو التراث العامي كما مر ذكره .





أضواء على صيغة " فعلون " في العربية

الأستاذ : هارون أَحمد العطاس

يتناول باللغة الإسبانية إذ أن هذا الاسم من الجذيرة العربية ومن جنوبها بوجه خاص ثان (خالدا) المعروف بخلدون وابن عثمان الحضرمي قدم من حضرموت إلى الاندلس ابن الفتح العربي .

ولا لحب أن أطيل في إيراد المصادر وحسبى أن اذكر أن نسبة الاندلسي العلامة ابن حزم شاول نسب بنى - خلدون الشيبيليين ورفع نسبهم إلى خالد بن عثمان فقال (خالد المعروف بخلدون الداخل من المشرق ابن عثمان ابن هانىء بن الخطاب بن كريب بن معد يكتب ابن الحارث ابن وائل بن حجر - . . . الخ) (١) .

وفي نفس الصفحة - قبل ما يسبق - نسب وائل ابن حجر إلى زيد بن الحضرمي .

كما أن ابن خلدون في ترجمته الذاتية نقل نسب بنى خلدون عن ابن حزم كما سبق ثم قال (ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا إلى الاندلس نزل (بقرمونة) في رهط من قومه حضرموت .) (٢) .

ويحسن أن نشير إلى أن وائل ابن حجر وقد على الرسول الكريم وله صحبه وقبل قومه قال ملى

اطلعت على المقال القيم الذي كتبه الأستاذ محمد بن تاويت بعنوان (صيغة فعلون في العربية) في مجلة النساء العربي الغراء المجلد (١٢) الجزء الأول من (٦٣) وقد أتعجبت بعرضه الممتع واستقراره الواسع لكثير من أسماء الأعلام التي على صيغة (فعلون) منذ القرن الأول حتى القرن الرابع عشر المجري . ولعله من المفيد أن أقدم بعض الملاحظات فقد جاء في من (٦٣) من المجلة ما يلى :

(كنت قد سمعت من أستاذنا مصطفى السقا رحمة الله وأنا أدرس عليه بكلية الآداب في جامعة مواد . أن خلدون ومثله مما ولد في الاندلس العربي على خلقة أقليبية متاثرة بمحيطها الخاص) .

ثم ذكر في نفس الصفحة أن الأستاذ عبد الله بن تكون قد إلى مؤتمر المجمع في دورته الحادية والثلاثين بحثا له في اسم (خلدون) وهل هو مكبر على الطريقة الإسبانية ؟ فلأحيل إلى لجنة الأصول .

و مع تقديرى البالغ لآراء الأستاذ السقا رحمة الله إلا أنى أرى أن اسم (خلدون) ليس مما ولد في الاندلس ولم يك مكبرا على الطريقة الإسبانية بل لم

(١) جمهرة أنساب العرب من (٤٦٠) تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، بتصرف .
(٢) التعريف بابن خلدون . ملحق بالجزء ٣٨٠/٧ ط . بولاق القاهرة .

ويركون وما يؤيد قدم الاسماء التي على صيغة
(فعلون) واصالتها العربية ان بعضها ذكر في نصوص
المسند مثلاً (سينون) و (دمون) وغيرها . فقد جاء في
النص (32 الكهالي) الذي سجله تائب بن جدنم (جدنا)
كبير اعراب الملك (ذمار على يمن) ملك سبا وذى ريدان
وحضورموت ويمنت سجلت فيه كلمتي (سينون ودمون)⁽²⁾
كما ورد اسم (دمون) في الشعر الجاهلي ، قال
امرأة القيس :

تطاول الليل علينا دمون
دمون أنا عشر يمانتون .⁽³⁾
وقال : كاتى لم اسمى بدمون ليلة
ولم أشهد الغارات يوماً بمندل .⁽⁴⁾

الله عليه وسلم ، يأتيكم وائل ابن حجر من ارض
بعيدة من حضرة موت طائعاً راغباً في الله عز وجل وفي
رسوله . واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على
الاقتال من ارض حضرة موت ، وفيما بعد شهد وائل
ابن حجر (صفين) مع الامام علي كرم الله وجهه وكان
على رأية حضرة موت .⁽¹⁾ وأسماء الاعلام التي على
صيغة (فعلون) شائعة في اليمن وحضرموت قبل الاسلام
وبعد ظهوره إلى وقتنا هذا . اذكر على سبيل المثال
أسماء مدح وقرى في حضرموت لاتزال بعضها عامرة
مثل (سينون ، قيدون ، نفحون ، حيدون ، سمعون ،
حلبون ، وربون . وأسماء لاوبيه مثل عرون وعيون
اما أسماء الاشخاص من الجنسين فاكثر شيوعاً مثل
عبدون ، حمدون ، عزون ، عيشون ، زينون ، فضلون ،

١) أسد النهاية في معرفة الصحابة ، عز الدين ابن الأثير ج ٨١/٥ ط ، طهران

٢) في تاريخ اليمن للباحث مظفر على الريانى من ٤ ف ١ - ١١٥

٣) ديوان امرأة القيس تحقيق ابى الفضل محمد ابراهيم من ٣٤ طبع دار المعرفة
القاهرة

٤) المصدر السابق ٤٧٣

رأي في بعض المصطلحات الواردة في معجم مصطلحات الجغرافيا والفلك في التعليم العام

الأستاذ عبد الحميد الوسلاطي

التغريب الذي يرمي لفتنا بالجزء ونوضى
المصطلحات

1 - لقد ورد في الصفحة - 10 - من المعجم
تغريب الكلمة « Coefficient » بمعامل بينما الذي
شاع استعماله خاصه في سوريا وتونس هو الضارب
والذي يجمع على ضوارب وهي أخف في الاستعمال
من معامل .

2 - ورد في الصفحة - 11 - من المعجم تغريب
« Courbes de Niveau » بخطوط الارتفاعات
المتساوية والذي شاع استعماله في سوريا وهي البلد
العربي الذي عرب جميع فروع العلم من الابتدائين
إلى العالى من حيثيات التسوية وهو اصطلاح أدق وأخف
من خطوط الارتفاعات المتساوية .

3 - ورد في الصفحة 19 - من المعجم تغريب
كلمة « Artisanat » بصناعة حرفية وفي صفحة -
43 - من نفس المعجم تغريبها أيضاً بصناعة تقليدية
وأعتقد أن التغريب الآخر أكثر دقة .

4 - ورد في الصفحة - 23 - من المعجم تغريب
كلمتى « Aiguille aimantée » بابرة مغناطيسة
بينما المستعمل وال الصحيح هو ابرة مغناطيسة .

بعثينا الأستاذ عبد الحميد الوسلاطي
باللاحظات الآتية حول مصطلحات الجغرافية والفلك
في التعليم العام وهو من ملخص المؤتمر الثالث للتغريب:

يقول فيها « بأننى توصلت عن طريق وزارة
ال التربية القومية بتونس بمصطلحات الجغرافية والفلك
في التعليم العام وانى اشكركم جزيل الشكر على
المجهودات الجبارية التي بذلتموها أتمن ورثائكم فى
المكتب من أجل الرفع من مستوى لفتنا العربية
وجعلها مواكبة لتطور العصر كما ساهمتم بعملكم
هذا في إنتقاد شبابنا العربى من نوضى المصطلحات
التي كانت تختلف من قطر لاخر وحتى من أستاذ لاخر
في نفس الكلية وقد عانيت الكثير من هذا الوضع
بصفتى خريج كلية العلوم بجامعة دمشق .

وانى اعتقاد جازم الاعتقاد ان هذا العمل الذى
تقومون به في نطاق الجامعة العربية سيكون له دور
فعال في توحيد لغة العلوم عند شباب أمتنا العربية
ويجعله يتكلم نفس اللغة العلمية من الابتدائى إلى
الثانوى فالعالى وهذا ان وجد الاعتناء والتطبيق من
طرف وزارات التربية القومية في الوطن العربي وهذا
بعد عملاً جباراً للمساهمة الفعالة في نهضة لفتنا
العربية وجعلها تساهم بدورها الإيجابي في النهوض
والمساهمة في تطور مسيرة العلم ، وايقاف تيار

5 — ورد في صفحة 29 — تعریب كلمة « بالحوت » Poissons . وهذا خطأ فادح حيث ان الكلمة « Poisson » تقابلها في العربية كلمة سمك التي تجمع على اسمك وهي حيوانات تنفس الاكسجين الذائب في الماء بواسطة غلاصمها . بينما الحوت يقابلها في الفرنسية « les Cétacés » وهي حيوانات ثديية لها شكل الاسماك تعيش في البحر وتتنفس الاكسجين من الهواء مباشرة بواسطة رئتها وهذا مثل البال « Cachalot » والدلفين وحوت العنبر « Baleine »

6 — ورد في الصفحة 31 — من المعجم تعریب الكلمة « Topographie Régionale » بمعنى اقليمي بينما نجد في الصفحة 37 — من نفس المعجم تعریب « Carte Topographique » بخريطة طبوغرافية « Topographie » بظواهرها . لذا ارى الافضل استعمال طبوغرافيا في كل الحالات .

7 — ورد في الصفحة 36 تعریب « Betterave sucrière » بشوندر السكر او بنجر بينما يستعمل هنا في تونس مصطلح اللفت السكري وهو مصطلح عربي صميم .

8 — ورد في الصفحة 54 — تعریب الكلمة



الاخطاء حول

دليل مصطلحات المواصفات القياسية العربية

الجزء الثاني

في هذا القسم بسبب تعريفها بالـ . ومن بين الامثلة الكثيرة ايضاً الأفعال التي رتبت في القسم الخاص بحرف (ي) والتي أدرجت فيه بسبب ابتدائها بباء المضارعة . وهناك اغلاط أخرى متعددة تدل على عدم الدقة في الترتيب .

2) تكرار المصطلحات بعد ارقام مختلفة : والامثلة كثيرة هنا ايضاً نكتفى بالاشارة إلى بعضها . انظر المادتين رقم 138 و 184 ، ثم 147 و 186 ، ثم 153 و 187 ، ثم 654 و 656 وما بينهما . وقد تختلف الترجمة للمصطلح الواحد المكرر كما يلاحظ ذلك في الامثلة التالية: 83 و 175 . ثم 733 و 789 ثم 803 و 606 و 1011 .

3) اغلاط تتعلق بالمعنى وقواعد اللغة ، ومن امثال ذلك استعمال كلمة «دخل وخرج» بدلاً من دخول وخروج في المادتين رقم 121 و 122 واستعمال كلمة «اعباء» بدلاً من عباء في المادة 151 ، وترجمة الكلمة «Drainage» بكلمة «تصفية» عوضاً عن صرف او تصريفاً انظر رقم 244 . اجل قد يكون الصرف او التصريف وسيلة للتصفية فكان في هذه الحالة ينبغي استعمال العبارة : «التصفية بالصرف» التي يقابلها بالفرنسية : «Purification (ou épuration) par drainage»

ـ مشروع أعدته المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس سبق لكتاب تنسيق الترتيب ان نشر في العدد الرابع عشر من مجلة «اللسان العربي» الجزء الاول من هذا الدليل القائم بعد اعادة النظر في بعض المواد التي احتوى عليها وتصحيح ما ورد فيه من اخطاء المطبعية وغيرها .

وكان بودنا ان ننشر الجزء الثاني الذي ارسل اليانا لنفس الفرض الا ان خبراءنا اللغويين يبعدون راجعوه وامعنوا النظر في مواده اكتشفوا اخطاء كثيرة في اللغات الثلاث ولا سيما الفرنسية فارتبوا بعد تصحيح ما سلطانوا تصحيحة ان يعاد هذا الجزء الى المنظمة الموقرة لكي يتمم خبراؤها المتخصصون عمل المراجعة والتصحيح لأن عدداً من المصطلحات والتعبير التقنية لا يستهان به كان موضوع شك او غموض من طرفهم نوضعوا عليها نقطاً استشهادية ونضللوا ان يعاد النظر فيها من أجل الإيضاح والتدقيق .

وفيما يلى بعض انواع اخطاء التي وردت في الجزء الثاني من الدليل مع الاشارة الى بعض الامثلة .

1) اختلال الترتيب الانجليزي : مثلاً الكلمات الواردة في القسم الخاص بحرف (ا) حيث يوجد الكثير من المصطلحات متعددة بغير هذا الحرف ولكنها ادرجت

5) ترجمة العمل لازمة بالعمل متعددة - او العكس - : انظر مثلاً المواد 2895 و 2896 و 2922.

6) ترجمة العمل بنتع او العكس وتوجد أمثلة من هذا النوع من الأخطاء في الصفحتين 153 و 154 .

وهناك أيضاً أخطاء مطبعية عملنا ما استطعنا على تصحيحها ورجاؤنا أن يتم التصحيح في المنشورة حتى يصدر هذا الجزء الثاني من الدليل على الوجه الأكمل .

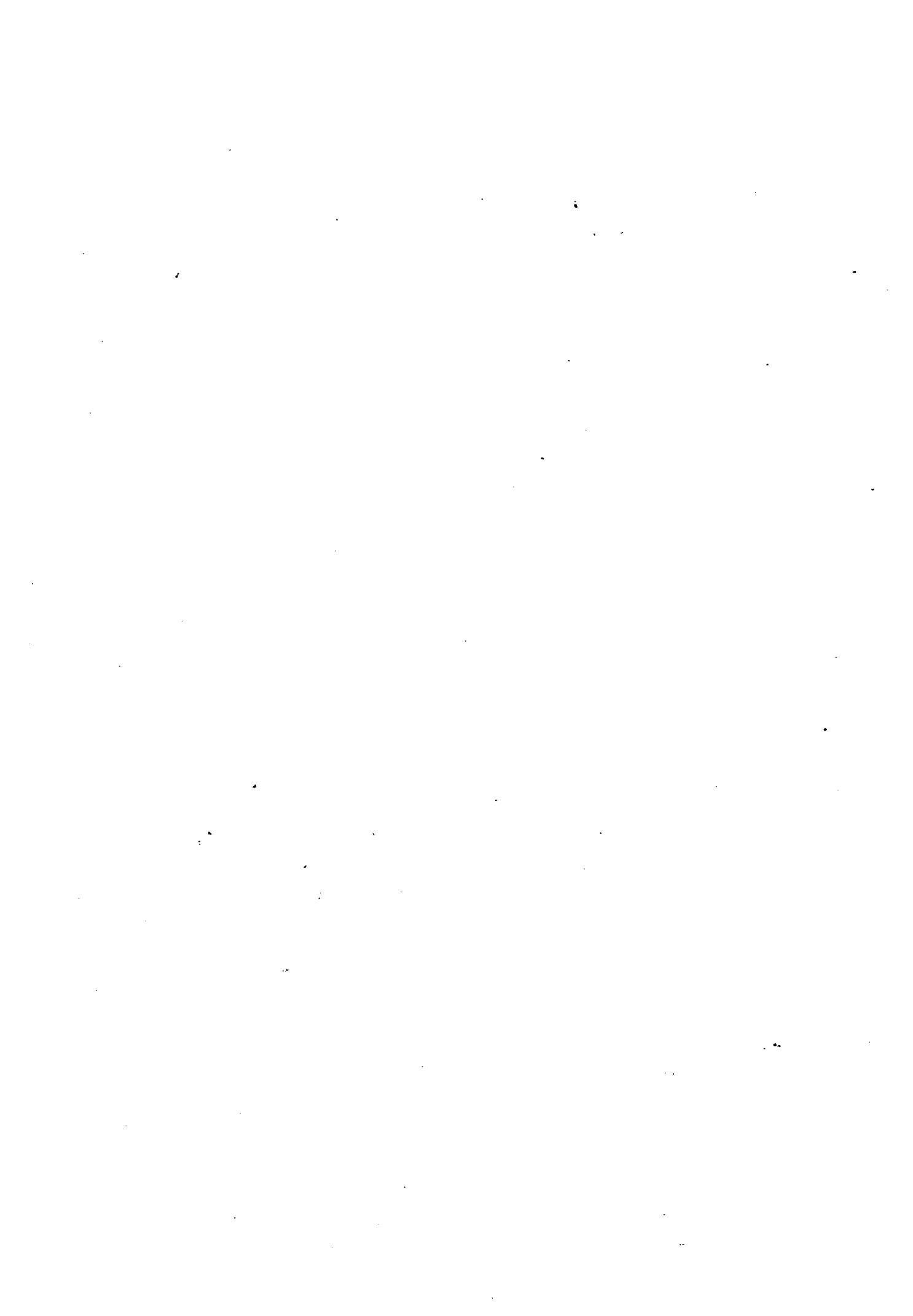
انظر أيضاً التطبيق المأماثى على المادتين رقم 225 و 226 ، ومن الأخطاء الدالة على عدم تطبيق بعض القواعد ايراد نعوت كبيرة مقتبسة بناء التائبيت (ة) الدالة على جميع غير العاقل في حين ان مقابلتها الأجنبي يأتي بصيغة المذكر المفرد (او العكس بالعكس كما ورد في المادة رقم 2127 مثلاً) . وقد وردت الكلمة « خالٍ » بدلاً من خال وكلمة « محاكٍ » بدلاً من « محكٍ » و « واقٍ » بدلاً من « واقٍ » .

4) اغلاط تتعلق برسم الكلمات ، وهي كثيرة جداً في المطالعات الفرنسية .



دراسات متعددة

- | | | |
|-----|--|---|
| 185 | الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله | 1 - المشكّل الديموغرافي والتّطوير الاقتصادي |
| 197 | الاستاذ : بن . بيت كوربر
ترجمة الاستاذ جمال عبد الفتاح صبرى | 2 - مدخل الى اللغويات التطبيقية (2) |
| 209 | د / رشاد محمد خليل | 3 - تكوين الفكر العربي قبل الاسلام (3) |
| 215 | الاستاذ محمد بن اسماويل
ترجمة الاستاذ محمد الخطيب | ٤ - مستقبل اللغة العربية |



المرأة الوعية او المشكل الديموغرافي والتطور الاقتصادي

معطياته في الولايات المتحدة الرأسمالية والصين الشعبية الاشتراكية والعالم الثالث وخاصة المغرب كما سنوضح في عرض تاريخي بسيط كيف استطاع المغرب المستقل طوال ألف عام ويفصل الاخلاقية الاسلامية الناضلة تركيز واقرار مستوى الاجتماعي جاهلا ماعرف اليوم بمشكل السكان .

نفى الولايات المتحدة التي تعتبر احدث وارقى منطقة في العالم يتخض « التقرير الديموغرافي » من ارتفاع السكان من ستة وسبعين مليونا 1900 الى 761 مليونا عام 1970 الى ما يقرب من مائتين وخمسة ملايين (205) علم 1970 فالمشكل الديموغرافي تتواكب فيه عدة موامل منها نسبة الولادات والوفيات ومعامل خصوية الاتسال والعنصر الاجتماعي والاقتصادي ويهدف التخطيط العالمي الى ضمان التوازن بين هذه المعطيات لخفض الوفيات وكذلك النقص من المواليد بتحديد النسل من طريق منع الحمل وهنا ينبغي ان نميز بين ما يسمى بالغبطة او التنظيم الديموغرافي او تحديد المواليد من جهة وبين التخطيط العائلي الذي يعتبر مجرد وسيلة لحماية الامومة والطفولة بالتنظيم من نسبة وفيات الاطفال ارتكازا على تصميم وسائل مناسب وهكذا نلاحظ ان هذه العوامل تتفاعل كلها لخلق بوتقة من التأثير المتبادل قد ينتهي الى

ان المؤمن الصالح في الحاضرة الاسلامية الفاضلة يتسم بميزتين اساسيتين تنفصل عنهما كل المقومات الخلقية والاجتماعية الاخرى وهو روح التحرر والشغور بالمسؤولية فالمسلم حر يجب ان يظل حررا في نطاق حرية الفير كما ان له تبعات حضارية في البيت والمجتمع وازاء انسانية يجب ان يضطلع بها فلينجذب ما شاء له الاتجاح ولكن في حدود امكاناته التي تحوطها مقدرات المسؤولية والتي يجب تقييم ابعادها في نطاق ملابسات الامة وظروفها وبذلك امكن للاسلام الذي هو حقا الدين الصالح لكل عصر ومصر ان يواجه ما اعتبره نموه الطبيعي واسعاعه الحضاري في مختلف العصور .

ان نماء سكان العالم بعد العصر الصناعي قد بلغ ارقاها خيالية حيث ارتفع من مليار واحد ونصف مليار عام 1900 الى ثلاثة مليارات ونصف عام 1970 لهذا فان التقنيات التي تستهدف تنفيص الوفيات والتي تعززها في الولايات المتحدة واوروبا تغيرات اجتماعية واقتصادية أساسية تحاول ان تحقق توازنا مع تغيرات موازية تعمل على خفض نسبة الجهل والامية والفلط في الاتسال للوصول الى نقص في نسبة الولادات لهذا فان الاستقرار الديموغرافي يجب ان يتبلور مبدئيا في تحقيق التوازن بين الولادات والوفيات ، وسنحاول — من اجل ابراز معلم هذا المشكل — التنظير والمقارنة بين

(1) محاضرة القيت باللغتين العربية والفرنسية باسم الوجود الاسلامي في المؤثر الاسلامي المسيحي الذي انعقد بتونس عام 1976

صدر قانون 1972 الذي ينص على «جواز الاجهاض بطلب خاص وعن طريق طبيب اخصائى» فهذا التشريع يقلل من الاخطار المحتملة الناتجة عن الاسقاطات والاجهاضات غير المشروعة التي تراوح كل سنة بين مائتي الف و مليون ومائتى الف في امريكا والمادنة لاعادة كل حمل غير مرغوب فيه ، ولهذا تتجه السلطة التشريعية الامريكية اليوم الى حصر الاضرار وجعل حد لعملية غير انسانية وهى الواد الاختيارى للحياة وذلك بتشجيع — على مراحل — لتقنية منع الحمل والتخطيط العائلى وتتلور هذه الابادرة خاصة في الاسبانية المخولة للدراسات الاحيائية في ميدان الانسال والاتجاه والبحث عن احسن الطرق التي تمكن الانفراد من «كتب ما يتوفى لديهم من قدرة على الاخصاب» تلك اذن وسائل جديدة ترمى الى وضع خطوط تعليم جنسى ملائم ، فلنستشف الان المرأة التي تتذكر من خلالها الى هذا المشكك دولة اشتراكية موغلة في مذهب «البنين» مثل الصين الشعبية حيث تقدر عدد السكان عام 1968 بسبعينة وثلاثة عشر مليونا كما قدرت نسبة تزايد هؤلاء السكان باثنين في المائة فقد نظم أول موسم دعائى لفكرة التخطيط العائلى منذ عام 1956 اذ وزعت على اوسع نطاق الوسائل الكهيلية بمنع الحمل. مرتفقة بنصالح بحسن استعمالها وهذه الخطة في التلمس والتحسس مجرد عن كل خطر في هذه المرحلة الاولية لانها لا تجلوز نطاقات تطبيقها تحريريا في ميدان منع الحمل غير ان الصين التى كانت اذ ذاك لا تزال في صراع ضد الابية كانت ايضا تجتاز فترة مخاض نظرا لوجودها اذنذاك في طور الانتقال الى دولة اشتراكية قوية عصرية تعتمد على تواها الذاتية وعصرية شعبها مما حدا الرئيس ماوتسى تونج الى القول عام 1958 بأن كثرة السكان «شيء جميل غير قبيح» اذ بتصنيع البلاد وتنمية انتاجها الفلاحي تصبيع قوة اليد العاملة قليلة وتتزاد الحاجة اليها باطراد لهذا فان توفر عدد ضخم من السكان يتحرك في بناء تلقى ويخوض معركة الشعب ضمن تربة الذاتى من شأنه ان يمد الصين بقوة لا تقهير غير ان هذا الموقف «المحابى» لم يمنع بناها من وضع جهاز للتخطيط العائلى في الصين في نفس الوقت الذى شعرت الجماهير القروية بالطبع الطلاق الحر لهذه السياسة فظلت حيرى في ترقب وانتظار بينما اثيرت الاطر القومية ورجال الفكر تجوب

نوع من التحديد لبعضها والغريب في هذا المدد ان ارتفاع الوفيات يشجع احيانا قوة الاتصال ويخلق لوازم اجتماعية واقتصادية ممكوسه لهذا نجد ان معدل الاتجاه يجب ان يبلغ اوجه في افريقيا الاستوائية لكتلة توازن ديموغرافي فالمسئولون يعملون اذن على اقامة جهاز اجتماعى من شأنه ان يخفض نسبة الوفيات قبل القيام بمنهج اية سياسة تستهدف تحديد النسل بنشر الوسائل المضادة للحمل ويستعمل الناس خطأ — في بعض الاحيان — عبارة «تفجر ديموغرافي» دون تمييز بين نسبة تزايد السكان في بلد ما وبين المساحة الصالحة في هذا البلد والوسائل الفعالة لضمان تطورها وقد أكد بعض علماء الاقتصاد البريطانيين ان عدد سكان كل «اكر» مزروع (اي نحو اربعة آلاف مترا مربع) في الصين اقل منه في بريطانيا العظمى او اليابان حيث تقدر في كل منها بسبعينة وتسعة وثلاثة عشر.

ويدخل العامل الاقتصادي والاجتماعي ايضا في الصين من اجل خلق محبيط صالح وملابسات ملائمة للتطور غير ان هذا العامل ليس هو كل شيء لأن مشكل التشغيل — لا القرفة التقنية على انتاج الطعام — يمثل النقطة الحرجية داخل تسعين الى مائة بلد تستعمل على سبعين في المائة من سكان العالم ذلك ان المفاعلات المتسلسلة للنماء الديموغرافي السريع ولنسبة البطالة وتناقص الشغل وانخفاض التلوء الشرائية كل ذلك كان وحده لطبع صيورة اي تطور او اصلاح في الوضع الاقتصادي والاجتماعي . واذا حاولنا ان نضرب مثلا بالولايات المتحدة الامريكية فانتا نلاحظ ان ارتفاع سكانها راجع خاصه الى عامل آخر هو الهجرة اي توارد اندماج من البشر قدر عددها باربعين في المائة خلال السنين العشر الاولى لهذا القرن وفي عام 1971 اجتازت الولايات المتحدة فترة عانت الامرين اثناءها بسبب تناقص نسبة الولادات، لهذا تختلف عوامل النمو بين بلد وآخر ، كما تختلف التحول الذى تتناسب مع هذه المعطيات وقد صدق الكونغرس الامريكى في نفس السنة اي عام 1971 تحت هذا التأثير على قانون يحظر منع الحمل الامر الذى شكل عائقاً امام منهجية التنظيم العائلى ومع ذلك فان الوضع القانوني الجديد لم يحل — بسبب عدم استعمال المشروع للمواد والاجهزة المحددة للنسل — دون لجوء عدد كبير من الناس الى عملية التعقيم الطبيعى لاسيما بعد

أى ميقات الاتجاح الى خمس وعشرين سنة او اكثر كما بني الرسول عليه السلام بخديجة زوجته الاولى وهو لم يتجاوز هذا العمر ذلك ان الديناميكية الاسلامية التي توافق الاشتراكية الصينية معها ها هنا تهدف الى دفع فنفيس طاقتها وطنفها في الحياة النشطة التي يدعوا اليها الاسلام ، كما يجد الشاب الصيني ملهم في الرياضة البدنية ونبينا يشعر به من لذة في بادرات التجديد والعمل المتعج ولكم يردد الصينيون — وهم شعب من شعوب اقطار العالم الثالث — بأن سعادة الشباب ليست في الاباحية الجنسية التي تتمضخ في الولايات المتحدة عن عدد من حالات الامراض الزهرية تبلغ سنوبا مليونا وسبعينا الف اصابة جديدة ولهذا قرر الصين ان الاشتراكية ليس منها الاخلاقي الى مكتب من المكاتب بل انها تتجلى في الجهد الدائب المستمر من اجل تجديد تربية الانسان وقد اوضح الفيلسوف الاجتماعي التونسي ابن خلدون قبل صدور كتاب كارل ماركس «رأس المال والشغل» بقرون ان العمل هو رأس المال الحقيقي الذي يسمح في بناء صرح كل حضارة وعمران⁽¹⁾ ثم ان الثورة الثقافية التي تحققت في الصين ليست في نظرها سوى تركيز للنظرة البيداغوجية العربية الى المسيرة الثورية التي مستهم في ضمان تطور نهائى للتعليمات والمطامح الفردية التي هي منفتح السلوك وخاصة سلوك الانسان في ميدان الاتجاح وتنمية النسل، وقد ابرز مدير البنك العالمي في استجواب⁽²⁾ اخير «حاجة العالم الثالث الى تحديد النمو الديموغرافي باى ثمن والا نسيؤدى الامر حتا الى كارثة كونية»

ان العالم يشهد اليوم ارتياكا شاملا نفي نفس الوقت الذى يتم تخطيط الاقتصاد على نسق مقصام في الصراوة والشدة ، نرى السكان في العالم الثالث وغيره يتزايدون او يتناقصون او يهاجرون دون اى جهد منظمي متماسك تقريبا عدا شواذ نادرة تنبثق في بعض البلاد كالصين لتوجيه هذه الحركات فعل من حاجة لتأكيد ان التخطيط الاقتصادي سيظل مرتهنا بصورة خطيرة مدام لا يتواءى مع تخطيط آخر للنمو الديموغرافي ذلك

انحاء الbadie عام 1958 — تلبية لنداء ماو — داعية لنكبة ضبط وتحديد الولادات ، ولكن منذ عام 1963 انطلق التخطيط العائلى المنظم من عقاله — بایغاز من الرئيس ماو — تسانده فئات متحركة من الاطباء والمرضى معززة بلتراح يحقن في رحم النساء لمنهم من الحمل وقد ارثت الاشتراكية ان المهم هنا هو انعدام اى تهديد او ضغط اقتصادي على المائة وهذا تظل مبررات الاختيار الحر المرتكزة على امكانات ووسائل كل عائلة — منبثقه من تحرر المرأة وحقها في الدراسة ووعيها المتزايد واسهامها الفعالة في اتمام اسرة مكينة. وفكرة التحرر هذه تشكل ضمن اى جهاز تخطيطي ، النابض الحى والسر الجوهري لكل نجاح فالشعب يمكن في هذه الحالة من ان يكون لنفسه — بكمال العربية — صورة متبصرة لصلحته ذلك ان المصلحة العامة الحقيقة للامة هي في كل مجتمع اشتراكيها كان او غير اشتراكي لدار او المحور الذى يضبط كل تجديد في البنية والبيكل وان الاسلام في بساطته ومرونته وقابليته للتطور حسب المتغيرات الإنسانية المتجددة وطبقا للوازم المنطق والعقل لهو المذهب الذى ينطوى على روح تحريرية أقوى وأعمق اذ ان نظرته الاصلية وما يترتب عنها من اختيارات منوطه باستكماله الانسانى الواقعى لل بواسعه الواقعية التى تبرر قيام اى جهاز ثقافى وفكري واجتماعى واقتصادى فهناك مبدأ اسلامى يرى ان من جملة معايير التقدير في التشريع ما تحمله الرسول عليه السلام من «تحكيم العادة» وما نهجه الامام مالك بناء على ذلك لقياس الجواز فى مذهبه وهو مبدأ «المصالح المرسلة» مما شجع أنواع البشر الى الدخول فى الاسلام بكثرة وخاصة فى القارة الامريكية المعروفة بتعلقها بالتقالييد الموروثة فالابيدولوجية الاشتراكية فى اطارها الماركسي وكذلك التصور الاسلامى للصالح الاجتماعى الحق — كلها يستلزم نكران الذات والايثير وتمالك النفس وضبط العواطف والنزوات والغرائز وهى كلها مقومات معنوية لتعزيز كل تخطيط يدو صلاحة ولو ادى الى اعاقة الحمل وتحديد النسل ، وقد اومئت الصين الشعبية الى الشبان بالعمل على تأخير سن الزواج

1) كتاب «فكرة ماوتسي تونغ» — كودنان بريفات — باريس 1971
 2) في جريدة «الاوبيسرفر Observer» — لندن ثالث اكتوبر 1971

التخطيط الذى لسنا في حاجة إلى القول بأنه لا يجب أن يهدف حتماً إلى تحديد النسل بل يمكن أن يرمي كذلك إلى تنمية الخصب والإنجاب كما فعلت رومانيا أخيراً في سياستها السكانية (1) « ومعظم بلدان العالم الثالث ليست لها سياسة شاملة للنمو محددة مطبقة بـ انها في غالبية الأحيان لا تكون قد قاموا حتى بـ مجرد مواجهة مواردها لهذا فإن تبني سياسات سكانية تحصر تعرفياتها تقريباً - بـ يليز المستشارين الغربيين - في عبارات تحديد النسل - يجب أن يشهر به كـ اسلوب خاطئ لـ موضوع مشكل التنمية ووسيلة خطيرة تصرف العالم الثالث عن العناية بالقضايا الأكثر أهمية والتي تتسم بطابع سياسي مقضية السكان ليست هي المنزع الاجتماعي الوحيد الذي يمكن أن يترك عليه بـ قوة (2) ، إن العنصر السكاني ربما كان أصعب تخطيـاً من باقي العناصر الأساسية في مسيرة التطور بل أنها لنرتـاب أشد الارتبـاب حتى في تـردة الإنسان على تحقيق ذلك في هذه المرحلة من التطور السياسي والثقافي والروحي للإنسانية» .

ويضيف الكاتب قائلاً :

« وهـذا فـإن المحـاولة المـتجددـة من طـرف الإـخصـائيـينـ الغـربـيينـ وـالـهـادـفةـ إـلـىـ تحـدـيدـ سـيـاسـةـ سـكـانـيـةـ Malthusـ الذيـ هوـ أـسـاسـ اـيدـيـوـجـيـتـمـ ثمـ فيـ عـبـاراتـ مـسـتـمـدـةـ منـ مـذـهـبـ مـالـتوـسـ فيـ عـبـاراتـ مـسـتـمـدـةـ منـ مـذـهـبـ مـالـتوـسـ الذيـ هوـ أـسـاسـ اـيدـيـوـجـيـتـمـ ثمـ فيـ عـبـاراتـ تحـدـيدـ الـولـادـاتـ -ـ آنـ تـلـكـ الـمـحاـولةـ يـجـبـ أنـ يـرـفـضـهاـ الـعـالـمـ الثـالـثـ لـأنـهـ نـابـعـ مـنـ خـلـلـ وـارـتـبـاكـ عـيـقـينـ فـيـ الـفـاهـيمـ وـالـمـدـرـكـاتـ الـقـائـمةـ بـيـنـ تـعـلـيلـاتـ مـنـعـ الـحـمـلـ وـانـجـازـاتـ الـاجـزـاءـ الـمـكـفـةـ بـنـشـرـ هـذـهـ الـمـوـانـعـ » .ـ آنـ سـيـاسـةـ توـيـةـ لـتـطـوـيرـ الـاقـتصـادـ لـهـيـ المـفـاتـحـ الـأـكـبرـ لـكـلـ سـيـاسـةـ سـكـانـيـةـ هـادـفـةـ إـلـىـ تـحـدـيدـ الـولـادـاتـ اـذـ آنـ اـسـاسـ آيـةـ سـيـاسـةـ منـ هـذـاـ التـقـيـلـ فـيـ الـبـلـادـانـ غـيرـ المـصـنـمـةـ لـيـمـكـنـ آنـ يـكـونـ غـيرـ رـفـعـ مـسـتـوىـ الـحـيـاةـ وـاسـتـقـرارـ حـرـكةـ التـشـفـيـلـ وـالـاسـتـخـدامـ لـاـ يـخـفـىـ آنـ تـطـبـيقـ مـيـثـاقـ الـجـازـيـرـ الـمـتـعلـقـ بـالـحقـوقـ الـاقـتصـاديـ لـلـعـالـمـ الثـالـثـ اوـذـيـ وـضـعـهـ نـوـجـ الـدـوـلـ السـبـعـةـ وـالـسـبـعينـ بـعـاصـمـةـ الـجـازـيـرـ فـيـ شـهـرـ أـكتـوبـرـ 1967ـ -ـ يـرـتـبـطـ مـبـاشـرـ بـمـشـاـكـلـ مـنـعـ الـحـمـلـ

(1) على اثر انخفاض توبي في عدد الولادات عام 1968 حيث اتخذت رومانيا سلسلة تدابير لتشجيع الانجاب

(2) مجلة تطور وحضارة - عدد خاص (47 و 48) باريس - 1972 من 128 و 131

(3) كتاب اقتصاد مرأة السكان ، معاشرة للدراسة العلمية للسكان - لندن 1969 (6)

(4) وضع وتطبيق سياسات سكانية في العالم الثالث (عراقيـلـ وـامـكـانـاتـ) بـقـلمـ بيـيرـ برـادـيرـفـانـ Pierre Pradervandـ فيـ المـجلـةـ المـذـكـورـةـ تـطـورـ وـحـضـارـاتـ الـخـ

قدرة مادية لبناء بيت على دعائم قوية اجتماعية واقتصادية

عن نتائج تبرز نتها خفينا في نسبة سكان الحضر (49%) في المائة مقابل 1ر 35 في المائة بالباديمية) ومن جمل العوامل التي قد تكون السبب في هذا التقلص الديموغرافي بين أهل الوير ظاهرة الانحدار نحو الدين الكبيري فالغرب بلد تعتبر نسبة الولادات فيه من أعلى النسبة في العالم فقد بلغت كثافة السكان — في مساحة تبلغ في مجموعها 444000 كيلومتر مربع — معدل 33 نسمة في كل كيلومتر مربع عام 1968 وارتفعت — حسب الاحصاءات الرسمية — بنسبة نسمة واحد لكل كيلومتر مربع وكل سنة وبعد الاحصاء الذي تم عام 1960 قدر عدد سكان المغرب : 11 626 232 نسمة في حين وصل حسب احصاء 1971 الى 15 379 259 من بينهم 111 987 من الاجانب وقد ارتفع معدل افراد كل عائلة من 4ر 9 اشخاص بين سنتي 1961 — 1963 الى 5ر 4 عام 1971 وذلك بالرغم عن قلة الاسر المغربية التي تتعدد فيها الزوجات (ثلاثة في المائة فقط) نماذج عدنا الى دراسة مقارنة للارقام المتخصصة عن احصاء عام 1960 وعن العمليات الاصحائية السالفة فان جمل نسبة الولادات يبلغ حوالي 50 في المائة ونسبة الوفيات 17 في المائة وبعبارة أخرى فان معدل نسبة ارتفاع سكان المغرب الذي كان يقدر عام 1969 بثلاثة وثلاثين في المائة سيؤدي الى ضعف هذا العدد من السكان في ظرف احدى وعشرين سنة ليصبح ثلاثين مليون نسمة عام 1990 — ومن جهة أخرى يصل عدد المسلمين في المغرب الى تسعة وتسعين في المائة من مجموع السكان اما تعليم الاميين فان نسبة في الحواضر اكثر منها في البوادي حيث تبلغ في الاوساط الحضرية — حسب احصاءات 1961 — 1963 — 29 في المائة (اي 41 في المائة بين الرجال و 17 في المائة بين النساء) بينما تصل بين أهل الوير الى 18 في المائة بالنسبة للرجال واثنين في المائة بالنسبة للنساء وفي عام 1971 تقدرت نسبة محو الامية بـ 76،5 في المائة مقابل 83 في المائة عام 1960 والفرق هام بين الوسط الكضري (56 في المائة) والباديمية (88 في المائة) اما عدد الاطفال الذين تحضنهم المدارس فقد وصل عام 1971 الى 1974000 من بينهم 530000 طفل في الباديمية (28 في المائة منهم في الكاتيب القرآنية)

وهنا يمكن ان نتسائل كيف يتجلی هذا المشكّل الديموغرافي في الشمال الأفريقي وخاصة في البلدين المجاورين الجزائر والمغرب ؟ ففي الجزائر تتجه كل امرأة متزوجة يتراوح سنها بين الخامسة عشر الى خود الخامسة والاربعين ولا تخضع لاي انقطاع في مجرى احصاها — معدل عشرة اطفال بقطع النظر عن الاجهضات والاسقاطات وغيرها (1) وقد احصت وزارة الصحة الجزائرية عام 1968 نحو الالف حالة من واد المواليد خاصة لأسباب اقتصادية وقد حاولت الجزائر الايجابية عن هذا التحدي الديموغرافي بنهج استراتيجية للتطور الاقتصادي (ضمن تصميم يمتد من 1967 الى 1980) وهي كالتالي :

1) تحقيق التكامل الاقتصادي بتأسيس صناعة تحويلية للمواد التي كانت تصدر فيما قبل بحيث يصبح ميزان الاعباء سويا سليما بقدر ما يحصر الاستيراد في مواد التجهيز الضرورية لخلق مفروع تكميلية لل الاقتصاد الجزائري .

2) تنمية رأس المال الصناعي الجزائري بفضل سياسة تعمل على توسيع نطاق الصادرات وخاصة منها المواد البيدروكاربونية (اي المشتقة من البترول) وبذلك تتم تنمية الطاقات لتكثيف التوظيفات في مجموعة الاقتصاد .

3) اقامة جهاز جديد لتكوين يتطابق مع الحاجات الاقتصادية المتبلورة في اضفاء طابع ديمقراطي على التعليم وتعزيز عملية التدريب والتنقيف .

4) القيام بتوزيع جديد للموارد بالغاء البطالة اي خلق وظائف جديدة وتوسيع رحاب السوق الداخلية التي هي محور النمو الاقتصادي في البلاد .

اما في المغرب فان 70 في المائة من مجموع السكان كانوا يعيشون عام 1960 في البادية و 39 في المائة في الحاضرة ، وقد أسفرت الاحصاءات عام 1971

(1) منشور حول برامج التخطيط العائلي بالفريقيا (مركز تطور التنظيم والتعميم والتقدير الاقتصادي) — باريز 1970 ص 14

- ١) احداث وظائف في المدن .
- ٢) املالات عمرانية في الحواضر مع مكافحة مدن القمدير .
- ٣) نهج سياسة تهجير مؤقتة .

وقد قام جلالة الملك الحسن الثاني بتعزيز القوام الاجتماعي والاقتصادي في المغرب في ميدان التصنيع والاصلاح الزراعي والتنمية الوطنية فشملت بادرات التحضر العماني الفروع وبناء الاحياء السكنية الرخيصة ومحاربة مدن القمدير وتحقيق اللامركزية في الاقاليم واتاحة السدود وتوزيع الاراضي والتاميمات والتنقيبات المعدنية والبترولية وتطوير موارد الفوسفاط وتشييد المركبات الصناعية وتعزيز التعليم ورفع مستوى حياة السكان وخاصة العامل الذي بدا يساهم في ارباح الانتاج تلك عوامل بناء يمكن ان تنسهم — دون تصفية كاملة للمشكل — في ايجاد الحلول له .

وفي هذه الحال سيسفر النقص في نسبة الولادات عن مجرد اسهام في ايجاد الحلول لمشاكل التنفيذية وتعزيز التعليم والسكنى والتشغيل بالتخفيض من حدتها ، اما ما يتعلق بالتخطيط العائلي نفسه فان برنامج الحكومة يرمي الى اقامة جهاز تحريري يترك للأسرة كل الصلاحيات لاختيار عدد الاطفال الذين ترغب في انجابهم اعتبارا لوسائلها وامكانياتها ومع ذلك فان مرافق مختصة في تلقين وسائل النعيم الاصطناعي للحمل ستؤسس وتجهز عددا ووسائل لمساعدة العائلات دون اى ضغط على اختيار ما يلائمها لهذا تم وضع برنامج اعلامي وثقافي للاتصال بالأسرة بواسطة فنون اجتماعية اجتماعية تضم ستائة رجل وامرأة لشرح المظاهر المختلفة للتخطيط العائلي وكان يظهر ان بعض الناس أصبحوا يتلون منذ عام 1969 على حقن تلقيح الرحم لمنع الحمل ولكن الاحصاء أوضح ان ثلاثة في المائة فقط من النساء اللواتي بلغن سن الانجاب هن اللواتي يستعملن هذه الطرق الاصطناعية الحديثة باستثناء الحقن التي يقوم بها اطباء القطاع الخاص بهذه السياسة المدرجة في التصميم الخامس للدولة المغربية لم تطبق الا جزئيا نظرا لقلة الوسائل الكافية في جهاز الصحة

ومن جهة أخرى ارتفع الدخل الوطني عن كل نسمة من السكان — بين سنتي 1961 و 1969 من 674 درهما (134 دولاراً أمريكياً) إلى 942 درهما (188 دولاراً) ولكنه نقص عام 1969 بـ 30,000 في المائة بالنسبة لعام 1968 وقد بلغت الطبقة الشغيلة عام 1971 ما يقرب من أربعة ملايين اي 26 في المائة من مجموع السكان وتجاوزت نسبة البطالة في المدن خمسة عشر في المائة بينما لا تتعدي 4,7 في المائة في الباادية واذا اردنا ان نتعرف الى التداخل الحاصل بين النمو الديموغرافي والتتطور الاجتماعي والاقتصادي فيكتفى ان نقارن تزايد السكان — باعتبار معاملات الوفيات وخصوصية الاتجاه مع نسبة التأثير على الدخل القومي ففي هذا المدد سيتبادر النماء الديموغرافي اي زيادة السكان — فيما اذا استقرت نسبة خصوبة الانسال — في 26 500 000 نسمة واذا ما استمر هذا الاستقرار الى عام 1985 فان مستوى حياة المواطن لا يمكن ان يحتفظ بوتيرته — بعد عشرين سنة (اي بين 1965 و 1985) الا اذا ارتفعت رؤوس الاموال الموظفة باثنين وخمسين مليارا وذلك بقطع النظر عن ضرورة احداث اربعة ملايين وظيفة جديدة للقضاء على البطالة تتطلب توظيفات اضافية تقدر بـ 107,5 مليون زد على ذلك ما يستلزم بناء دور سكني رخيصة اي خمسة عشر مليارا (ثلاثة مليارات دولار) وخمسة مليارات درهم لواجهة تكاليف الزيادة في عدد الاطفال الذين تحضنهم المدارس بكيفية موازية يجب ان ترتفع الميزانيات الاجتماعية الأخرى كميزانية تسيير الصحة العمومية بما لا يقل عن ثلاثة في المائة وهذا يتناقض العبء على الدولة دون ان تختلف من حمله زيادة ملائمة في انتاج المحاصيل او الماشية الذي ظل قارا — اذا لم يكن قد نقص احيانا — طوال نصف قرن .

واذا اعتبرنا هذه المعطيات امكن ان نقدر مدى ما ينطوي عليه النمو الديموغرافي من اخطار جسيمة على التطور الاجتماعي والاقتصادي في البلاد وسعة المشاكل التي يصطدم بها المجتمع آنذاك بسبب نورة التضخم الناتجة عن استفحال حاجات هذا المجتمع لهذا يحاول المغرب ان يجد حلولاً للمشكلة الديموغرافية في تعزيز التخطيط العائلي باتخاذ اجراءات تهدف الى استعمال البطالة ومعالجة قضية تزايد السكان ويرى المسؤولون ضرورة نهج سياسة سكانية مستعجلة ترتكز على المقومات الثلاثة الآتية :

به تتجه موقف الكثير من الاتارقة الذي ترتبت عنه زيادة في الفسق مرتفعة جداً ولم الحديث الشريف العائل : «تكاثروا تناследوا نانى مياه بكم الامم يوم القيمة» يدخل في هذا الاطار لاسينا وان عدد المسمين في عهده عليه السلام لم يكن يتتجاوز الف واربعين بما فيه منه البعد المتألي للعائلة التقليدية الخاصة لنظام الابوة والتنـ زيدـهاـ تضخـماـ لوازـمـ تـعدـدـ الزـوـجـاتـ اوـ التـسرـىـ قد اـتـخـذـتـ معـ التـطـورـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـاـقـتصـادـيـ لـلـامـةـ مـقـاسـاتـ اـقـلـ منـ المـاضـيـ اـذـ انـ نـسـبـةـ الـخـصـبـ اـىـ الـاتـسـالـ تمـيلـ خـاصـةـ فـيـ الشـمـالـ الـافـرـيقـيـ - الىـ الـاتـخـافـ منـ 5ـ 7ـ اـطـفـالـ لـكـلـ عـاـئـلـةـ الـىـ عـدـدـ يـتـراـوـحـ بـيـنـ 3ـ 5ـ وـ 5ـ اـطـفـالـ وـيـرـىـ كالـدوـيلـ Caldwellـ (2)ـ يـرىـ انـ نـظـامـ العـاـلـةـ الـعـدـيدـ الـاـنـدـرـادـ اـىـ الـمـنـطـلـةـ مـنـ خـصـبـ مـرـتـفـعـ يـرـتـكـزـ فـيـ اـفـرـيقـيـاـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ غـنـاصـ اـسـاسـيـةـ تـلـخـصـ فـيـ كـوـنـ الـاطـفـالـ يـمـثـلـونـ قـوـاماـ اـقـتصـاديـاـ وـيـقـومـونـ بـجـزـءـ مـنـ اـنـعـملـ الـلـقـىـ عـلـىـ عـاـنـقـ الـاـسـرـةـ وـيـسـاعـدـونـ الشـيـوخـ وـالـعـجـزـةـ وـيـسـاـمـهـونـ بـعـدـدـهـ الـكـبـيرـ فـيـ دـعـمـ هـيـةـ وـنـفـوذـ الـاـيـاءـ غـيرـ انـ هـذـاـ ثـالـثـاـ رـاجـعـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ اـلـىـ اـنـعـدـامـ اـىـ جـهاـزـ لـلـتـعـاوـنـ اوـ اـسـعـافـ الـاجـتمـاعـيـ تـقـيمـهـ الـدـولـةـ عـلـىـ الصـعـيدـ الـوـطـنـيـ غـالـظـهـرـ الـكـلاـسـيـكـيـ لـدـيـنـةـ مـغـرـبـيـةـ فـيـ الـعـصـورـ الـوـسـطـيـ مـثـلـاـ يـبـرـزـ عـدـمـ اـهـمـيـةـ مـشـاـكـلـ كـانـ الـمـوـاطـنـ الـمـسـلـمـ يـجـبـلـهـ فـيـ ذـلـكـ الـعـصـرـ لـاـنـهـ كـانـتـ سـتـاـشـلـ تـلـقـائـاـ بـمـوـاـقـفـ وـتـقـالـيدـ وـعـادـاتـ تـعـقـمـهاـ وـسـنـسـتـعـرـضـ لـذـكـرـىـ مـعـطـيـاتـ تـصـورـ لـنـاـ مـذـىـ تـأـثـيرـ الجـانـبـ الـتـارـيـخـيـ فـيـ الـكـشـفـ عـنـ خـبـاـياـ الـوـسـطـ الـاـسـلـامـيـ الـمـغـرـبـيـ ذـلـكـ اـنـ الـمـيـزـاتـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـاـقـتصـادـيـ - كـماـ تـجـلـيـ فـيـ هـذـاـ مـسـارـ الـحـضـارـىـ - كـانـتـ تـشـكـلـ عـالـمـاـ حـاسـماـ مـنـ شـائـهـ انـ يـوجـهـنـاـ فـيـ وـضـعـ كـلـ سـيـاسـةـ دـيمـوـغـرـافـيـةـ فـالـىـ اـىـ حدـ اـمـكـنـ لـلـاخـلـاقـيـةـ الـاـسـلـامـيـةـ الـفـاضـلـةـ اـنـ تـقـومـ بـدـورـهـاـ بـكـاملـ الـفـعـالـيـةـ فـيـ مجـتـبـعـ اـتـسـمـ بـطـابـعـ اـفـرـيقـيـ وـقـبـلـيـ مـزـدـوجـ اـدـتـ بـهـ النـزـعـةـ الـاـنـصـالـيـةـ الـمـتـرـفـةـ اـلـىـ لـاـ مـرـكـزـيـةـ قـوـيـةـ ؟ـ

انـ مـغـرـبـ الـقـرـنـ التـاسـعـ الـمـجـرـىـ رـيـماـ كـانـ اـكـثـرـ عـرـاـنـاـ مـنـهـ الـيـوـمـ (3)ـ غـيرـ انـ اـنـدـامـ الـاـحـصـاءـ

الـعـوـمـيـةـ بـالـاـصـافـةـ اـلـىـ تـقـاعـسـ السـكـانـ اـهـمـاـ اوـ تـشـبـيـاـ بـتـقـالـيدـ الـاـنـسـالـ الـوـاسـعـ وـلـهـذاـ يـحـاـلـ المـغـرـبـ اـنـ يـتـحـاشـىـ اـتـخـاذـ اـىـ مـوـقـعـ صـلـبـ يـتـعـارـضـ مـعـ (ـتـقـليـدـيـاتـ)ـ تـكـسـونـ اـحـيـاـنـاـ خـاطـئـةـ نـهـوـ يـوـاصـلـ بـحـوـثـهـ رـغـمـ كـونـ اـخـتـيـارـهـ قـدـ وـقـعـ لـحـدـ اـلـآنـ مـيـثـيـاـ عـلـىـ سـيـاسـةـ تـهـدـيـةـ تـهـدـيـةـ مـنـعـ الـحـمـلـ دونـ اـيـةـ مـوـاجـهـةـ وـلـاـصـطـدامـ نـهـوـ يـسـرـ بـكـاملـ الـحـيـطـةـ وـالـحـذـرـ - عـلـىـ مـاـيـوـحـ - دونـ الـلـجـوءـ اـلـىـ شـعـارـاتـ لـافـتـةـ لـلـلـانـتـارـ وـلـاجـرـ لـلـمـوـاـطـفـ لـاـسـيـماـ وـاـنـ الـكـثـيرـ مـنـ الـنـاسـ مـاـزـالـوـاـ يـتـأـثـرـوـنـ تـارـيـخـ النـصـ الـذـيـ يـسـتـدـنـوـنـ اـلـيـهـ وـطـورـاـ بـتـعـيـيـنـاتـ مـتـسـارـعـةـ لـهـذـاـ النـصـ دـونـ اـعـارـةـ كـبـيرـ اـهـتـمـامـ لـلـمـوـاـمـلـ الـتـقـانـيـةـ وـالـاـجـتمـاعـيـةـ اوـ الـاـقـتصـادـيـةـ فـيـ الـجـمـعـ الـاعـلـامـيـ فـاـذـاـ مـاـحـاـوـلـنـاـ تـجـزـئـةـ الـمـشـاـكـلـ وـتـرـتـيـبـهاـ حـسـبـ اـسـبـيـقـيـهاـ وـجـبـ اـنـ تـهـمـ اـوـلـاـ بـاـقـاتـةـ جـهـازـ يـكـبـرـ لـحـمـاـيـةـ الـاـمـوـمـةـ وـالـطـفـولـةـ كـجـزـءـ لـاـ يـتـجـزـاـ مـنـ نـظـامـ وـقـائـىـ عـامـ عـلـىـ صـعـيدـ الـصـحـةـ الـعـوـمـيـةـ وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ يـكـوـنـ تـخـطـيـطـ الـعـائـلـىـ مـنـيـداـ مـهـماـ تـكـنـ نـسـبـةـ الـاـمـيـةـ وـالـمـسـتـوـىـ الـاـجـتمـاعـيـ وـتـنـطـورـ الـاـمـةـ الـاـقـتصـادـيـ فـهـذـاـ الـعـنـصـرـ الـاجـتمـاعـيـ يـشـكـلـ قـوـاماـ مـتـرـأـساـ وـجـمـوعـةـ مـتـمـاسـكـةـ لـاـيـكـنـ فـصـلـ اـجـزـائـهاـ بـعـضـهاـ عـنـ الـبـعـضـ فـاـذـاـ مـاـوـضـعـنـاـ مـشـكـلـاـ مـنـ الـمـشـاـكـلـ فـيـ مـسـارـهـ الـحـقـيـقـيـ مـاـنـ الـقـوـمـاتـ الـجـوـهـرـيـةـ الـاـخـرـىـ مـثـلـ الـوـسـطـ الـعـائـلـىـ وـالـمـسـتـوـىـ الـتـقـانـيـ وـالـصـحـىـ وـالـوـازـعـ الـاـجـتمـاعـيـ وـالـعـاـمـلـ الـاـقـتصـادـيـ الـحـقـ - تـتـقـاعـلـ كـلـهاـ فـيـ مـعـادـلـاتـ اـنـسـانـيـةـ مـتـنـاسـكـةـ لـهـذـاـ يـسـتـوجـبـ كـلـ تـخـطـيـطـ مـسـالـحـ تـمـاسـكـ الـمـشـاـكـلـ بـتـبـسيـطـ الـمـطـبـيـاتـ وـجـعـلـهاـ فـيـ مـتـنـاـولـ الـعـامـةـ وـتـحـقـيقـ تـجـارـبـ وـاـصـحـةـ لـسـهـولةـ الـاـتـنـاعـ لـاـنـ الـوـسـطـ الـصـالـحـ اـجـتمـاعـيـ وـعـقـائـدـيـاـ - مـهـماـ يـكـنـ مـسـتـوـىـ الـاـمـيـةـ قـادـراـ عـلـىـ اـدـرـاكـ اـلـقـلـخـلـاتـ وـارـقـ الشـيـاتـ لـمـسـارـاتـ مـنـ الـمـسـارـاتـ وـمـنـجـيـةـ مـنـ الـتـهـجـيـاتـ ،ـ وـنـلـاحـظـ مـنـ نـاحـيـةـ اـخـرـىـ اـنـ تـزـوـعـ الرـجـلـ الـاـفـرـيقـيـ بـوـجـهـ عـبـامـ اـلـىـ اـكـثـارـ مـنـ الـنـسـلـ قـدـ تـولـدـ مـنـذـ اـعـرـقـ الـمـصـورـ تـحـتـ تـأـثـيرـ الـنـظـامـ الـقـبـلـىـ الـذـىـ كـانـتـ تـؤـتـهـ تـزـدـادـ كـلـماـ اـزـدـادـ عـدـدـ اـفـرـادـ الـقـبـلـةـ (1)ـ وـعـنـ هـذـاـ الـاـتـجـاهـ الـتـقـلـيدـيـ الـمـتـبـلـوـرـ فـيـ تـقـدـيرـ الـكـمـ وـالـاـنـتـخـارـ

1) تـقـولـ القـاعـدةـ الـمـنـسـوـبةـ اـلـىـ كـارـيـطـ Caretteـ بـخـصـوصـ الـجـزاـئـرـ اـنـ عـدـدـ السـكـانـ الـمـقـاطـلـينـ فـيـ الـقـبـلـةـ يـمـثـلـ ثـلـثـاـ اـذـ اـشـفـنـاـ اـلـيـهـ رـيـعـهـ اـلـذـىـ يـمـثـلـ عـدـدـ الـمـعـطـوـبـينـ .

2) فـيـ بـحـثـهـ حـولـ اـبـعـادـ مـراـقبـةـ الـعـاـلـةـ فـيـ اـفـرـيقـيـاـ - 1968ـ (5ـ مـصـ.)

3) كـوـتـيـيـ Gautierـ فـيـ كـاتـبـهـ (ـعـصـورـ الـمـغـرـبـ الـفـاطـمـيـةـ)ـ 405ـ .

ساعدت ثروة الموارد الطبيعية في هذا البلد على الاكتفاء الذاتي بل أن المغرب لم يكن يتخلّى عن إمداد الدول المجاورة تونس والبرتغال بالعون والمساعدة عندما كانت المجتمعات تعيش في جوانب البحر الأبيض المتوسط.

نها الرفاه المواطن في تاريخ المغرب كان دعامة اقتصادية للسياسة التي نهجها قادته في ميدان التسلّل حيث لم يكن هناك داع لای تخطيط يحدد حركة الاتجاه، ولم يتمّ المغرب آنذاك بالفلاحة فقط بل عمل على دعم التصنيع. ولكن الاستثمار بدا يحرث في هذا الكيان الاقتصادي العتيق.

وبذلك حقق المغرب في نطاق روح التحرر الإسلامية التي هي روح انسانية أهدافه القومية في دائرة احترام حرية الامم والشعوب الأخرى فاعترف للولايات المتحدة قبل الآخرين بالحرية والاستقلال في الوقت الذي بقيت أوروبا تتعرّض حيري ازاء هذا الولود الجحيد ويرهن المغرب المسلم في عهد المولى اسماعيل باعتراف مؤرخي المسيحية أنفسهم - انه كان أكبر حام للفرنسيسكان الكاثوليك ، كما أن المغرب فتح أبوابه على مصاريعها لليهود الذين طردتهم أوروبا وفي ضمنها انجلترا طوال عدة قرون ولكن يوم كان اليهود يهودا قبل ان ينحرف الكثيرون نحو الصهيونية اللاانسانية ، نعم ظل المغرب العربي كمنوذج لبقية اقطار العالم الإسلامي في عهد الانصياع للأوامر - ظل في خدمة الإنسانية عامة والمواطنين خاصة فتوأكبته لبعض المقومات الحضارية وانفتح آثار الانحرافات في الامة وأبعادها الخلقية والاجتماعية ومقاساتها العددية والمعدنية ، وهكذا وأصل تعزيزه لللاقتصاد بتوزيع اعانت ضخمة على المزارعين بلفت - حسب تقدير صاحب « درة السلوك » - خمسة ملايين دينار (7) كما وزع ابيان الجذب كبيات هائلة من الاغذية في المدن والاعمال في البادية ومنع قروضا التجار لاستيراد المواد

- (1) في كتابه « الصحة والطب في المغرب » الجزائر 1902 (ص 5)
- (2) كتاب « وصف وتاريخ المغرب » - باريز 1860 (ص 8)
- (3) حضارة العرب - الطبعة الفرنسية من 263
- (4) في كتابه « المغرب المجهول » - جزان 1895
- (5) موليراس ج 1 (ص 27)
- (6) تاريخ المغرب جزان - 1950
- (7) كانت قيمة الدينار تعادل أكثر من اربعة غرامات من الذهب

التيار الجديد لم يحل دون احتقان المغرب ببنية من التقاليد المريقة التي دعمت أمجاده في مختلف العصور فالمواطن المغربي كان دائماً يتمتع باسعافات اجتماعية ضد العوامل المدamaة التي كانت تحرّك كيان المجتمع في العصور الوسطى خاصة في أوروبا كالجوع والمرض والجهل والتفسف والاستبداد وكان المغرب يمتاز بنوع من الامن والتوازن الاجتماعي القار الا ان العنصر الهام هنا هو ان هذه الكثالة كانت شعبية لادخل فيها الدولة التي ظلت في مندوحة عن تحمل عبئها نرافق المجتمع كانت تتفاعل بشكل غريب تحت تأثير عوامل شتى اصبحت اشعتها في حياتنا المعاصرة باهنة كامدة ونخس بالذكر منها الاوقاف الحبسية التي كانت تتتكلّم علينا باسعاف الطبقات غير المحظوظة في الامة وذلك باقامة الملاجئ ودور الضيافة في طول البلاد وغرضها حيث يجد المواطن الموز المأوى الصالح والقوت الكافي والمساعدة المادية الموفورة ، وكانت روح التضامن تترك الجماعة في مساعدتها للأفراد فلم تكن الدولة تشعر بالحاجة للتدخل من أجل اقرار التوازن وخلق تكافؤ الفرص بين الجميع كما كانت الزكوات والاعشار تخلق نوعاً من التسوية بين الطبقات وتسد الحاجة الملحة دون انتشار الفتن ولا تشجيع المساكين على الاخلاص للراحة لتوله عليه السلام «لان يحترب احدكم حزمه على ظهره خير من ان يسأل احداً أعطاء او منعه» وكانت ذيول هذه الاصعافات والاوقياف ترخي سترها الغارقة على الفقر حيثما كان بالبلدان الاسلامية وخاصة في اليمن والجاز وبالأضافة الى هذا الجهاز الكبيل بدعم الامن الاجتماعي كانت الدولة تعمل على ضمان اقامة القضاء الصالح لحماية الحقوق والمصالح بحسن اختيار القضاة ومراتبهم من مغريات الرئوسة والزور والانحراف حيث عزل السلطان المولى سليمان كافة قضاة الباشوية لمعدم اهليتهم ومنذ القرن السادس الهجري وجه الخليفة الوداعي يعقوب المنصور منشورا الى القضاة لذكريهم بشروط الحفاظ على العدالة متوعدا كلّا من الراشدين والمرتدين الامر الذي خلق جواً حياً من عدالة القضاء عزّز العدالة الاجتماعية مما حدا المؤرخين الغربيين الى الاشادة ببنية القضاء قبل

الضرورية وبيعها بارخص الثمن ، وبذلك سبق في مناهجه الاسعافية الاجتماعية ما أصبحت الدول المعاصرة تقدمه في تخطيطاتها وموازناتها ، وقد اتجه المولى محمد بن عبد الله ايضا الى ترميم علاقته بالخارج لترجع كفة ميزانه التجاري فصدر قائض انتاجه الذي بلغ عام 1845 نحو 75000 طن من التمّع والخفراءات الجافة في ميناء المسويرة وحده الذي تقبل عام 1911 اي قبيل فرض عقد العدالة 462 باخرة حيث صدر 38000 طن من المنتجات المغربية مقابل توريدات قدرت بـ 12000 طن ، ولم تكن الحركة الداخلية اقل ازدهارا ، اذ بلغ عدد رجال الحرف القومية التقليدية نصف مجموع سكان المدن (1) المغربية، كانوا يعملون ضمن اطار نقابي (نظام الحناطي) جد متحرر «لم يعتره زيف وفساد الا بعد احتكاكه بالمغرب (كما قال باليز) (2) وقد ساعد تنوع المواد الاولية ورخصها هذه الحرف على التسامي والازدهار حتى في البوادي ولتضليل مثلاً بصناعة ميكانيكية كانت تحول في ارياض مدينة الجديدة منذ عام 1866 منتجات القطن التي كانت مشهورة بجودتها وشبّهها بنوع «سي - ايسيلاند» (Sea Island) ذي الخيوط الحريرية المستطيلة وهذا المستوى المماشي هو الذي حذا المؤرخ ادوار دوتى (Edward Doutté) الى القول بعد رحلته الدراسية الى المغرب - بأنه حمل انسانية الاقناع بأن سكان المغرب يعيشون حياة اقتصادية أكثر ثوة وتنظيمًا من حياة جيرانهم سكان الجزائر «غير ان الاقتصاد المغربي أصبح - بعد تدخل الاستعمار - يهوي في طريق الانهيار فانما الفقر بكلاته التقليد ونبض معين بيت المال وتدخلت بعض الدول الغربية المترصدة لاستغلال ضعف المغرب المالي بسلوك دبلوماسية جديدة ساهاها اندرى جولييان «دبلوماسية عن طريق المالية» ارتاحت مقدرات البلاد الاقتصادية ومستقبله للسيطرة عليه سياسياً وبذلك اندرج المغرب في مجال جديد أصبحت ايديولوجيات الغربيين تتحكم فيه وتكيف معطياته الحضارية وتوجهه نحو بوتقة مصطنعة بعيدة عن تقاليده فاصطدم بمشكلات جديدة اضطر ان يتخذ لها حلولاً في نطاق العقلية الجديدة غير ان هذا

(1) ماسيثيون في كتابه «الحناطي الاسلامية» (اي جمعيات المحترفين) باريز 1925 ص 38

(2) مجلة المغرب الطبعى

الرحم بعد تكون الجنين خلال ثلاثة الاشهر الاولى للحمل فاذا كان الحديث الشريف يشير الى اطوار الجنين من حالة النطفة ثم المضفة ثم العلقة ثم نفخ الروح حيث تستمر كل حالة اربعين يوماً مان الجنين يتكون ولو بدون روح قبل نهاية هذه المدة لا يسمح الاسلام بالجرف الا في حالة الخطر الشديد على الام ولكن روح الانجراف التي تفشت في العصور الحاضر والتى أصبحت تتسامح اكثر فأكثر في العلاقات الجنسية غير المشروعة والاجهاضات المسرية - افاقت المجتمع توازنه حيث ابعدت الدواليب الاجتماعية عن محورها الطبيعي ، واذا ما رجعنا الى النصوص الاسلامية الصحيحة لاحظنا ان العزل المأذن الى منع الحمل لم يكن محظورا في صدر الاسلام فقد روى البخاري ومسلم والنسائي والترمذى وابن ماجه ومالك في الموطأ عن ابى سعيد : «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بنى المصطلق فاصيبنا سبباً من سبى العرب فاشتهينا النساء واشتت علينا العزوّة واحببنا العزل فأردنا ان نعزل وقتلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا قبل ان نسألة فقل ما عليكم ان تعملو ما من نسمة كائنة الى يوم القيمة الا وهي كائنة » وفي رواية ان رجلاً قال : يا رسول الله ان لي جارية وانا اعزل عنها وانا اكره ان تحمل وان اليهود تحدث ان العزل المؤودة الصفرى قال كذلك يهود لو اراد الله ان يخلق ما استطعت ان تصرفه « الا ان تطبق ذلك يستلزم اتفاق الزوجين دون ضغط خارجي بامداد قانون ملزم فقد روى التزويين كما في مجمع الزوائد لمحمد بن محمد بن سليمان الروذانى السوسي المغربي عن عمر رضى الله عنه ان ارسل عليه السلام نهى ان يعزل عن الحرمة الا باذنها ذلك ان المجتمع الذى لا ينقطع فيه المرأة بدورها المشروع هو مجتمع حائد عن روح الاسلام فللمرأة الحق الكامل الذى تفرد به وحدتها احياناً في الحياة الزوجية وخاصة الامومة كما لها حقوق تضمنها الشريعة لاتخل عن حقوق الرجال لأن معظم المفسرين والآئمة يؤكّدون ان الآيات القراءية المتعلقة بحقوق الرجال وواجباتهم شاملة للنساء ايضاً اللهم الا اذا ورد

الحماية والتقويم بالوازع الكابع المتمثل في ضغط الجماهير التي كيّفها التكوين الاسلامي الفاضل وتشريعه الانساني . ومن مقومات هذا الجهاز الاجتماعي مراكز الاستشفاء (مارستانات ومستشفيات ومصحات) التي كانت تسهر على وقاية الصحة وحفظها فتصر الحديث على واحد منها وهو مستشفى المنصور الوحدى «بمراكتش» ذلك المستشفى الذي جهز كأى مستشفى عصرى بالأدوية والاطباء والمرضى ومختلف المرفهات بالمجان وقد وصفه المؤرخ مى (Millet) (1) بأنه يدخل في هذا العصر (اي عام 1927) مستشفيات باريس وقد تحدث دوتى (Doutte) عن مقوم اجتماعى آخر هو الطهارة - كثدبر وقائى ضد المرض - فأبرز معالنته بالغرب الذى كان بذ في هذا الحقل الكبير من الشعوب المتقدنة الواقع ان المستوى الثقافى لدى الشعب المغربي كان مرتفعاً حتى بين الاميين الذين كانوا مسلحين للحياة أكثر من حملة الدبلوم في امم اخرى (2) وهذه العوامل مجتمعة هي التي خلقت بيئة اجتماعية مثالية لم تترك للعامل الديموغرافي اي اثر في مسار تطور الاقتصاد وهذا هو الذي يبرر ما اشار اليه (ليون الافريقي) في كتابه «جفراونية افريقيا» من ان معدل العمر بلغ في الحواضر المغربية 70 سنة وفي الجبل مائة ولكن معدل الوفيات بدا يتصاعد مع تسرّب الاستعمار (الايبيري) اثر سقوط غرناطة اوائل القرن التاسع الهجرى ودخول ما كان يسمى في المغرب بالمرض الانترنجي «وهو الزهرى» (3) ويتجه الاطباء المعاصرون الى نسبة جانب من الخلل الاجتماعي الملحوظ في العالم الى هذا الوباء الفتاك الذي يرفع معدل الوفيات ويلبس المسار الديموغرافي والاجتماعي الاقتصادي في المغرب . ويرجع الفضل في جماع هذه المعطيات الايجابية الى الاسلام الذي يحظر المرأة الحصان بسباق من العنف قبل الزواج كما يستنكر الانجاب غير المشروع بسد الباب في وجه الاستحقاق ويحظر بشدة وأد الطفل او الجنين مهما تكون الاسباب كل تلك العوامل تحول دون انتقال الاعمى غير المتبرّص وليس في نصوص الاسلام ما يجزئ عملية الجرف الطبى Curetage وهو كتح وتتنظيف

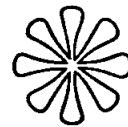
1) في كتابه «الموحدون les Almohades» المطبوع عام 1927

2) Propos d'un vieux marocain

3) حسب ليون الافريقي الذى كان يعيش في القرن العاشر الهجرى اي السادس عشر الميلادى

الموطن نكرياً وأخلاقياً يتسم بطابع الأولوية كعامل اجتماعي ويرتبط المواطنون في وسط اسلامي صحيح بوثاق من التضامن والتكافل يبذُّ في نظر الشارع كل سقومات العبادة لأن الدين العاملة فلا نطيل بسراد النصوص التي تكيف المدينة الإسلامية الفاضلة وتطبع روح المواطن المسلم بخلقية متسامية تعززه بدرع من المناعة ضد مستوجبات الحياة المعاصرة في إطارها الحضاري المصطنع .

نص صحيح مخصوص وبذلك يتأكد مبدأ المساواة بين الجنسين في ظلال القرآن عدا ما يستلزم طبيعة المرأة ومتضيّبات الحشمة والعنف أو المتطلبات الأسروية. وهكذا فإن كل تسامح في مجال «منع الحمل» لا يمكن أن ينقلب إلى نظام اجتماعي قاتوني معتم دون اعتبار لوازم البيئة ومختلف المؤامل الأخرى ومن بينها العامل الاقتصادي والاجتماعي إذ أن كل تحكمٍ مهذبٍ مما يكن نوعه يظل عديم الجدوى في وسط غير مهذب لا يرتفع إلى مستوى مسؤولياته الأسروية والتومية ثم أن مستوى





مَدْخَلٌ إِلَى الْلُّغَويَّاتِ الْطَّبِيعِيَّةِ

الفصل الثاني
وظائف اللغة

تألیف : س. پیت کوردر
ترجمة الأستاذ جمال صبري

اللغة كأحدى وسائل التخاطب :

السلوكيّة سمّة « أخبارية » ، محتقظين بالمعنون « تخلطي » لوصف السلوك الذي يلجاً المرء اليه بقصد الاخبار ، ومن ثم فالشيء او غيره من الاشطة قد يحمل ، بطريقة عارضة ، معلومات لأحد الملاحظين الخارجيين ، وقد يتضمن هذا ايضاً نشاطنا الصوتي اذا مثلاً نتمكن من التعرف على شيء ما عن شخص معين من مشيته ، فانه بامكاننا كذلك استنتاج امور معينة عن شخص ما من صوته ، فاولاً لكل امرٍ شيء معين يفرد به من حيث صوته او طريقة تحدثه ، هنا ، يمكن ، الى حدماً ، تغيير خاصية الصوت ، او نبرته عن عد ، كما يمكن لشخص ما اتخاذ مميزات صوت شخص آخر ، وتلك مهارة المحاكين ، وفي مثل هذه الحالات تستخدم المميزات « الذليّة » كما سماها ابركرومبى 1967 Abercrombie⁽²⁾ للتخلط المقصود اى للتضليل ، وبالمثل يمكننا التعرف على الوقت الذي يكون فيه شخص ما غاضباً او مستشاراً او متعباً من « جرس » صوته ، كما نعرف ذلك من كيفية مشيته ، او من مظاهر اخرى عديدة في سلوكه ، ومن ثم نسلوكتها جميعه اخباري ، بصفة أساسية ، ويمكن استخدامه ذلك للتخلط .

ومع ذلك نهذا لا يعني انه يمكن « للمستقبل » دائماً ان « يقرأ الاشارات » ، اذ لكي تخبر بشيء او يتم التخلط معنا ، من الواضح بحاجة الى قدر معين من المعلومات العامة او الخاصة ، وقد يكون من بين تلك المعلومات معرفة بمتاليدي معينة ، فالتمييز بين التخلط المقصود والتخلط غير المقصود انتماً يكن في رأس « المرسل » ، اما التمييز بين كون المرء مبلغاً او غير مبلغ او مخاطباً او غير مخاطب فيكون في رأس « المستقبل » .

اما التمييز الثاني الذي يجب علينا معالجته فهو بين التخلط اللغوي والتخلط غير اللغوي ، عندما

بعد المناقشة العامة حول اساليب النظر الى اللغة ، تلك المناقشة التي جرت في الفصل السابق تدرين من المدهش ان أحداً جرّأ وحاول وضع تعريف لاي شيء جد معقد ، ورغمما عن ذلك كانت هناك محاولات لا حصر لها في هذا الصدد ، غير ان ايها من تلك المحاولات لم يتم بالاقناع والشمول التامين ، ولكن معظمها ، بسيط او باخر ، يحاول ان يدخل على التعريف بياناً ما حول « وظيفة » اللغة ، وتتخذ تلك البيانات عادة صيغة من العبارات مثل : « بواسطتها يتخاطب الانسان » ، و « نظام للتخلط » ، و « لاغراض التخلط » ، هذا ، وفي الفصل السابق اعتبرت فكرة اللغة كوسيلة للتخلط على انها احدى وجهات النظر الاجتماعية ازاء اللغة ، حيث ان تلك الفكرة انطلقت على الاهتمام بالتحديث ، والمستمع ، وكذلك على كثير من مقومات موقف الحديث ، وهنا سأمضي قدماً في امر وظيفة التخلط اللغوي ، علينا بدئ ذي بدء ، ان نميز بين التخلط المقصود والتخلط غير المقصود : اذا رأينا صديقاً يسرى على طول الطريق فقد نتمكن ، دون ملاحظته لنا ، والى حد كبير نسبياً الخروج باستنتاجات حوله وحول حالته الذهنية او الصحية ، وعن الجهة التي يتصدّها ولماذا كل ذلك من طريقة مشيته فحسب ، وفي هذا المعنى فلن مشيته « تخبرنا بشيء ما ، الا انه لن يخطر ببال احد انه يمشي بذلك الكيفية » بمعنى « التخلط معنا على الرغم من ان ذلك قد يحدث احياناً ، مثل قولنا عن امرأة ما : « لقد انفتحت خارج الغرفة وأغلقت الباب بعنق » . هذا ، وسلوكتها جميعه تخلطي ، الى حد ما ، بمعنى ان المستقبل يعلم شيئاً لم يكن يعرفه من قبل ، حتى ولو لم تكن لدى « المرسل » نية معينة لأخباره بای شيء ، واخذوا برأي Marshal 1970⁽¹⁾ فأنه من الجد ان نعد تلك السمة

(1) Marshall, J-C. (1970), « The biology of communication in man and animals » in J. Lyons (ed). *New Horizons in Linguistics.*, Penguin.

(2) Abercrombie, D. (1963), « Conversation and Spoken Prose », English Language Teaching, Vol. 18, no. 1, pp. 10-16, reprinted in D. Abercrombie, *Studies in Phonetics and Linguistics* OUP, 1965.

الاشارات التحكمية الا انها تقلدية والى قد تتحدد بطرق معقدة مختلفة لابراز تفاصيل المعنى : من حيث ان السلوك اللغوي لفظي أساسا ، ومن ناحية أخرى ، فالتمييز بين السلوك الصوتي والسلوك غير الصوتي سواء كان ذلك السلوك تناطبيا او اخباريا ، لهو مسألة استخدام اعضاء الصوت او عدم استخدامها ، وحقيقة ارتباط التخاطب اللغوي أساسا بالسلوك الصوتي في عقول الافراد هو ، الى حدما ، « حادث تاريخي » ، غالبا ما يسمى « اولية الحديث » وبهذا نعني ان السلوك التناطبي ينشأ بصورة طبيعية اولا على هيئة صوت ، ويظهر ذلك في تطور الفرد وفي تطور المجتمعات البشرية معا .

ومن ثم علينا ان نميز بين السلوك سواء كان صوتي او غير صوتي ، وبين السلوك الاخباري أساسا والسلوك التناطبي تصدرا ، كذلك يمكننا ايجاد فروق عددة بين السلوك التناطبي (سواء كان لغوي او غير لغوي) وفقا لما يجري نظره (تيليفي) ، هذا ، وسأتناول الموضوع بتفصيل اكبر فيما بعد في سياق السلوك اللغوي على وجه التحديد ، بيد انه من المفيد في هذا المقام ان نميز بصفة مبدئية بين المهام الموقتة ، والمهام الادراكية ، للسلوك اللغوي (ليونز 1972 ، Lyons (3) وتنكّن المهمة الموقتة للسلوك اللغوي في استخدام هذا السلوك في التعبير عن حالتنا الذهنية وعن عواطفنا ، ولايجاد «صلة» بيننا وبين مستمعينا ، ولتأكيد مشاعر التكامل والثقة والود تجاههم ، أما الوظيفة الادراكية للتخاطب فتكتمن في التعبير عن ادراكاتنا الحسية ، وتخيلاتنا ، وارائنا في « الواقع الابور » ، وإذا ما حللت السلوك الاشاري للحيوان ، بهذه الكيفية ، فان ذلك السلوك يتضمن ، على وجه الحصر ، المهمة الاولى ، فمن الظاهر ان الحيوانات تتفاعل مع الواقع بحيث يمكن للمراقب العلمي البشري من حيث المبدأ ، ومن حيث معرفة بالموقع الاجمالي ، ان يتبعها بأى اشارات صوتية او غير صوتية سوف تظهر ، وبالتالي تلك الاشارات على الحيوانات من نفس النوع ، او من نوع آخر ، وبمعنى آخر ، نحن نستشف سلوكا حيوانيا معينا على انه تعبير على الخوف ، او

الوح الى شخص ما بيدى لاجذب انتباوه ، فانسما اخطبه بطريقة عمدية ، وانا افعل ذلك كجزء من خطة عمل مدروسة ، مقدمة ، مثلا ، لأخباره بشيء ما او استعارة شيء منه ، هذا ويجب ان تكون ايمانى واضحة تفسرها على انها « نداء » لا على انها مجرد « تحية » او « وداع » او « تخدير » ، وبمعنى آخر عليه ان يفهم الایماء حتى يكون التخاطب معه ناجحا وتعد كيفية تفسير تلويحة او ايماءة ، في اى مجتمع ، مسألة تقليد سلوكي مشترك بين المرسل والمستقبل ، والسلوك التناطبي مسألة تقليد أساسا ، ومع ذلك فالتلويحة لا تعد جزءا من التخاطب اللغوي ، فإذا ناديت « هيما » ، يا بيل ، احضر هنا لحظة » ، فان نوابي تكون نفس النوايا ، الا ان تناطبي هذه المرة سيؤخذ ، بصفة عامة ، على انه تخاطب لغوى ومن ناحية أخرى ، اذا صحت بالنظر رديئة النطق ، قد يجد من الصعب الحكم على ما اذا كان ذلك ، حقا ، تخاطب لغوى او غير لغوى ، اذ من الصعب وضع حد فاصل بين النوعين ، ويتوقف وضع ذلك الحد تماما على العالم اللغوى : وعلى الظواهر التي يجب على نظرائه ان تفسرها . والواضح تماما هو ان الامر لا يقتصر على ما اذا كانا يستخدم او لا يستخدم اعضاء الكلام في التخاطب ، فقبل كل شيء علينا استخدام السعال او الصياح او الشتاؤب او الآتين ومجووعة كبيرة من « الاشارات الصوتية » كتقنيات تناطبية مقصودة ، يعدها نفر قليل « لغوية » ، وبالطبع ، يمكننا التخاطب لغويًا عبر قناة البصر ، وعن طريق الكتابة ، وهذا لا ينطوي على استخدام اعضاء الصوتية .

والفاصل بين التخاطب الغوى والتخاطب غير اللغوى ليس محكما ثابتا ، اذ انه بتوقف ، بصفة اساسية ، على القرارات النظرية للعالم اللغوى ازاء ما يدخل في مجال دراسة ، فيقوم علماء لغويون مختلفون بوضع الفاصل بين التخاطب اللغوى والتخاطب غير اللغوى في اماكن مختلفة ، الا ان معظم العلماء اللغويين يعتقدون ان الخاصية الرئيسية للسلوك اللغوى تكمن في انه يتألف من عدد كبير متناه من

(3) Lyons, J. (1972). « Human Language », in R. A. Hinde, (ed) Non-Verbal Communication, The Royal Society and Cambridge University Press.

للوضعة او الابياء او نبرة الصوت او تغيير الوجه او طريقة مشيتها او ملبيتها او اكلنا ، يمكن استخدام كل ذلك في اخبار الناس بشيء معين ، ولكن اذا اردنا بلوغ النجاح فيجب على « المستقبلين » معرفة مجموعة القواعد المرعية التي تتبعها ، هذا ويمكن الى حد كبير تحديد المشية « المتعبة » من ناحية وظائف الاعضاء غير انه يمكن محاكاتها ، فثمة طريقة « مقبولة » للمشي تتم عن « التعب » . ويقوم قدر كبير من التمثيل غير الجيد على مثل هذا النوع من القواعد المرعية من قبل : امداد المرء يده في شعره وكتب التأوب والقمعة وربما كان كل سلوكنا يتسم بأحد عناصر العادات التقليدية ذلك لانه انما يكتب في المجتمع ولهذا السبب بالذات فان الهيئة التي يتخذها ذلك السلوك تصبح مميزة للمجموعة الاجتماعية التي يكتب فيها ولأنه من الامثلة انظر لبار 1972 — La Barre (5) وهذا جزء مماثل له بالثقافة ، فنحن نتalking تalking عمديا حين نستخدم سلوكنا عن عمد في حدود نطاق مسموح به وونقا لمجموعة من قواعد السلوك المرعية حتى نستخدمها في التخاطب وهذا يصدق بكل وضوح على اللغة كما انه يصدق على غيرها من اساليب السلوك

هذا وغالبا ما يطلق اسم شبه لغوی على اي استخدام ممدى للسلوك الجدى في اغراض التخاطب وفي حدود القواعد المرعية ، ومن قبل ذلك الابياء والوضعة وتعبير الوجه ودرجة السرعة ودرجة الصوت ونوعية الحديث وثمة ميل قوى لان يصاحب السلوك شبه اللغوی السلوك اللغوی كنوع من الطلاق وهو يختلطان مثلا في ذلك مثل الالحان التي تختلط في عملية مزج الالحان ويتمثل ذلك عندما نومي اتجاه شيء معين بدلا من استخدام تعبير لغوى : « نقط » اعطنى ذلك ، ، ، (ابياء) او كما يحدث كثيرا في الحالات والمكاتب : « واسمك ... ؟ » مصحوبا برفع الحاجبين او بمالحة الراس .

ويصعب التبيؤ تماما بالقدر القليل من السلوك

المصادقة ، او العدوان ، ، ، وهلم جرا ، لأن ردود الفعل ازاء هذا السلوك من قبل الحيوانات الاخرى تكون هروبا ، او اقترابا ، او استعدادا للقتال ... الخ ونحن نترنن سلوك الخوف بالاستجابة بالهروب ، ثم نمضي في القول ان الحيوان « يتبه » غيره من الحيوانات الى الخطر ، فاذا اخترنا تسمية تلك العملية « تخاطب » ، كما يحدث غالبا ، ظليس من حقنا ان نفترض انه تخاطب « قصدى » بالمعنى الذى استخدمته فيما يتصل بالسلوك البشري ، اذ ان القصد ينطوى بالضرورة على الاختيار ، وتستثنى مجموعة اشارات الحيوان فكرة الاختيار هذه ، ولكن يكون لدينا ما يبرر غزونا التخاطب اللغوی الى حيوان معين ، علينا اياضاح ان ذلك الحيوان « ادرك » ان سلوكه تأثيرات معينة ، وانه استخدم تلك الاشارات لابراز التأثير ، ويتمثل اوضح دليلا على هذا السلوك القصدى لو امكن جعل الحيوان يظهر اشاره الخوف او السرور بطريقة غير ملائمه ، اي يجعله يعطي معلومات مضللة ، الا انه ليس ثمة دلالة واضحة على حدوث ذلك الامر (Marshal 1970 ، Marshal (4) صفحة 235 — 236) .

واذا عدنا الان الى الوظيفة الادراكية للسلوك اللغوی ، ينفع لنا ان مجموعة اشارات الحيوان : سواء كانت مقصودة او غير مقصودة ، ليس لها وظيفة ادراكية ، وبالمثل قد يكون للسلوك التخاطبى للانسان سواء كان ذلك السلوك لغويا او غير لغويا ، وظيفة موقنية ، الا ان السلوك اللغوی وحده هو الذى يختص بوظيفة ادراكية ، فنحن قد ننقل الخوف ، او مشاعر الود ، او السرور بصورة لغوية ، او بصورة غير لغوية ، الا انه لا يمكننا تأكيد ان شيئا معينا يتسم بالخطورة او السرور بغير طريق اللغة .

التخاطب والمعنى :

سبق لي القول بأنه يمكننا التخاطب القصدى بوسائل اخرى غير الوسائل اللغووية ، فاختارنا

(4) Marshall, J.C. (1970), « The biology of communication in man and animals » in J. Lyons (ed). New Horizons in Linguistics. , Penguin.

(5) La Barre, W. (1972) « The cultural basis of emotions and gestures », J. Person, no. 16 pp. 49-68 ; reprinted in J. Laver and S. Hutchesson (eds), Communication In Face-to-Face Interaction, Penguin.

لنقل التعبير عن الانكار من حقيقة ان المتهمن باللغة من الناحية التاريخية كانوا الفلسفه وعلماء المنطق اذ كانوا يستغلون بالناحية الافتراضية لغة من حيث تيمتها وحققتها ، وكانتوا يميلون الى تركيز اهتمامهم على انواع الجمل التي يمكن تحليلا بصفتها معتبرة عن الافتراضات الحقيقية او الكاذبة الا ان من العسر التأكيد من صدق او كذب التعبير عن الرغبات والبهجة والالم والرضا او عن المسائل والاوامر الا بالقدر الذي نفترض به شيئاً حقيقياً او كاذباً . ونحن لا يمكننا القول بأن جملة « امر الملح » حقيقة او كاذبة في حد ذاتها وكل ما يمكننا قوله ان الادراكات او الافتراضات الخاصة بالوقف الذي تطلق فيه تلك الجملة قد يكون كاذباً حقاً اي ربما لا يكون هناك ملح وبالمثل نسأله من قبل « كم عدد ارجل الاصلة العاصرة ؟ » لا يتسم بالحقيقة او الكذب وانما الكاذب في الامر هو الافتراض الضئيل من ان الاصلة العاصرة ليس لها اية ارجل على الاطلاق .

و في حين تستخدم اللغة للتعبير عن افكارنا ، فذلك ليست وظيفتها الوحيدة اذ قد يكون من الصحيح ان معظم الجمل تحتوى على عنصر او عناصر معينة تفترض او تؤكد عقائد او ادراكات معينة عن موقعنا الحالى او موقف العالم بصفة عامة الا ان ذلك لا يمكن ان يمثل بآى حال تولنا أن وظيفة اللغة هي التعبير عن افكارنا .

اذا فاول شيء علينا مواجهته هو انتنا نستطيع القول ب Sahih وظيفة بهذه من اللغة اذا اخذناها بمعدل عن سياق الكلام والوقف الذى استخدمت فيه ، فقد تطلق نفس مجموعة الكلمات فى مناسبات مختلفة بنوايا وتأثيرات مختلفة ، وببساطة لا يمكن تسجيل الكلمات التى تطلق ، بل علينا ان نتساءل عن سبب النطق بها ، ويمكننا تنفيذ ذلك بنجاح محسب كما شاهدنا اذا كان لدينا قدر كبير من المعلومات عن المتحدث والمستمع والموتفق ، ذلك انه عندما ذكر نقاً عن احد المسؤولين فى جريدة قوله انه يجب « معاملة » النهر المحلى « كبالوعة مفتوحة » ، لاحظ الصحفى الذى نقل الحديث انه كان يفترض ان يكون ذلك بمثابة « تحذير » وليس « دعوة » ، وما زلت لا استطيع تقدير ما اذا كانت اللافتة التى تقول « عبور المشاة » تعنى « تعلیمات » للمشاة ام « تحذيراً » لسائقى السيارات فوراء اي

اللغوى او غير اللغوى للانسان اذ لو كان التبؤ « امراً ممكناً فاته » من الصعب اخبار الملاحظ باى شيء لم يعرفه مسبقاً ومن ثم لهذا ليس من قبيل الاخبار ، ولو كان لكل فرد نفس نوعية (الصوت) او كان كل مفرد يرتدي ملابسه بطريقة واحدة فان السمات السلوكية هذه لن تهم عن اية معلومات ومن المحتمل كذلك الا تكون لهذه السمات الناظر فى لفتنا ، ولكن تظل سمات عالمية ثابتة يجب تبولها كامر مسلم به مثل كون للمرء اتفاقى مسألة لا اختيار لنا حيالها ، ولكن اذا كان لنا الخيار ، فنسبة احتمال لاستخدامها فى التخاطب ، وينطوى الاختيار بدأه على حد معين من البدائل التى يجلبها الحدس نوع معين من النظام التقليدى ينطوى على المعنى .

ما يتم نقله ؟ :

تميل التقارير اللغوية على نحو نموذجي الى النص على ان وظيفة اللغة هي نقل « الفكر » غير انتنا اذا فسرنا كلمة « فكر » بطريقة تحريرية بحيث يتضمن الانعقادات والآراء والاحكام والادراكات فان ذلك يبعد تقريراً محدوداً للغاية ، ويمكننا قياس ذلك بوضع عبارة « اعتقد » في صدارة تعبيرات قليلة ومتناهكة اذا كانت مفهومة او من الافضل التأكيد من ان الاصانة لا تحدث تغييراً هاماً فى المعنى انتنا اذا نقلنا ذلك فسنجد مجموعة كاملة من التعبيرات التى تتأثر قليلاً بذلك الاصانة ومجموعة اخرى تخضع لتغيير هام فى المعنى :

لقد ارتكبت الحكومة خطأ آخر
يجب ان تزور طبيباً
ستعود ربيكاً غداً
هذه بلوزة جليلة

تبعد هذه الجمل قليلة التغير نسبياً فى معناها
باصانة « اعتقد » قبلها ، ولكن ماذا يكون الحال
بالنسبة للجمل الآتية :

يا بيسيل يا محنك !
يا بيسيل يا محنك !

هل يمكنك ان تدلنى على الطريق الى الاوديون ؟
بالطبع ، يسرنى ذلك
ستتلقى اجايقى غداً
وتاتى المفاجأة فى تقديم وظيفة اللغة كادة

الامور ، وقد يحتوى هذا المنطق على مضمون عاطفى (ويتوقف ذلك على علاقتنا بربكا) ولكنه ، أساساً تعبير عن درجة النقا المتوفرة لدينا شخصياً في صدق ادراكنا لوضعية الامور ، ومرة ثانية قد تكون بنانية الى التضليل . وغالباً ما يقال للحكام الخاصة باحتمال او ترجح او امكانية او تأكيد العنصر الفرضى للتعبير ، العنصر التموفجى المنطوق ، وقد نقول «ربكا ، فلتحضرى الى المنزل غداً ! » ، من الواضح اتنا هنا نصبر عن رغبة في وضعية معينة للأمور ، وبقدرتنا تعبر تلك المنظوقات المختلفة عن عاطفة او نقا او رغبة في وضعية معينة للأمور ، بقدرتنا تتضمن جميعها عنصرنا يخبر المستمع بشئ معين عن المحدث ، تجميدها تنطوى على عنصر فرضي فيها ، والآن ، يمكننا ان نتسائل : هل يمكن وجود متطوقات ذات وظيفة موقنقة نحسب ، اي متطوقات ينتمى لها العنصر الفرضي او الادراكي ؟ وما العنصر الفرضي في « مرحبا ! » او « الى اللقاء ! » او « كيف حالك ؟ » . يصعب القول بأن تلك المنطوقات تعبير عن ادراك لوضعية الامور ، بالرغم من ان نطقتها قد يفترض وجود مثل هذا الادراك واذا نظرنا الى مثل تلك المنطوقات ، نجد انه يمكن التنبؤ بحدوثها تماماً ، وأن بنيتها صيفية ، ولهذا السبب فهي تشبه ، الى حد كبير ، في طبيعتها النداءات التي توجه الى الحيوانات ، ولذلك اطلق عليها بعض الناس مسمى سلوك « شبه لغوی » ، فمن الواضح ان وظيفتها موقنقة ، بالرغم من انها قد لا تحدث اكثر من ايجاد شعور بالغضامن او علاقات الود بين المحدث والمستمع ، الا ان الفالبية العظمى من المنطوقات ليست من هذا النوع الصيفي ، وتحتوى فعلًا على عنصر افتراضي ، وربما كان ذلك هو النسب في ان العرف جرى على اعتبار « نقل الادكار » كوظيفة اولى او وحيدة للغة .

اداء الحديث :

تنطوى معظم المنطوقات على عنصر ادراكي ، غير ان هذا لا يعني ان وظيفة اللغة هي ، ببساطة ، التعبير عن ذلك العنصر ، فكل ما للغة هو عنصر موافق يرتبط بنوایا المحدث ، وعن طريقه ينقل شيئاً معيناً عن حالي الذهنية ، ونشاطه ، وعن سبب تحدثه

تقرير — قد يبدو محليداً او بربكا ظاهرياً — للحقيقة قد تكمن نية اخرى وهذا احد مشاكل التحدث عن الوظائف التخاطبية للغة ، فنحن لا نستطيع تصنيف المنطوقات بدقة وفقاً لصيغتها النحوية اي وفقاً لصيغة الامر واستئهام الخبر .. وهلم جرا ، ثم نقول ان لكل صيغة وظيفة واحدة نحسب على العكس من ذلك علينا القراء انه قد يكون لاي منطق عدة وظائف في آن واحد وانه ليس ثمة علاقة عامة بين صيغة منطق ووظيفته بالرغم من وجود علاقة احصائية (احتمالية) مثلاً بين الجملة الاستئمائية ووظيفتها توجيه سؤال ما .

قمت في القسم السابق بالتمييز بين الوظيفة الموقفية والوظيفة الادراكية للحديث ، فيما يتعلق بالتمييز بين السلوك اللغوی والسلوك غير اللغوی ونتعلق الوظيفة الادراكية بوضوح بما اسميته هنا بعنصر المنطق الذي يعبر عن عقائذنا ، او ادراكتنا او تصوراتنا لوقف ما ، او لوقف العالم بمفهومه ويمكن الحكم على هذا الجزء من المنطق (اذا كان له مثل هذه المكونه ، ويشير الى وقت ومكان معينين) ، بأنه حقيقي او كاذب حقاً ، ولهذا السبب فهو يسمى احياناً بالعنصر الافتراضي او الضمنى في المنطق (انظر سيريل 1969 (6) وبالطبع قد يكون في نيتنا التضليل اي ان نقدم شيئاً عكس الطريقة التي نرى بها الامور حقاً او نعتقد انها كذلك على انه ربنا ، او ادراكنا — الا ان هذا لا يعني ان ذلك الجزء من المنطق غير ادراكي ، فالوظيفة الموقنقة عبارة عن مركب من الوظائف العديدة المتعلقة احدها بالآخر فتعبريات السرور والالم والخوف والرغبة وهلمجرا ليست تعبريات عن كيفية رؤيتنا للامور او مما نعتقد في وضعية الامور ، انها هي ردود فعلنا الشخصية ازاء وضعية الامور ، سواء كان ذلك طوعاً او قسراً ، منطق « ربكا ستاتي غداً » قد يكون خبراً محليداً مثيراً للعاطفة لما نعتقده صواباً اما اذا قلنا « انه لن الخير ان تأتى ربكا غداً » او « أمل ان تأتى ربكا غداً » فانتنا نضيف تعبيراً لعقائذنا العاطفية لوضعية الامور كما نراها ، وبالمثل قد نتوى التضليل بالطبع او اذا قلنا « ربeka قد تأتى غداً » او « ربeka لن تستطيع الحضور غداً » فانتنا نضيف تقديرنا لاحتمال وضعية

(6) Searle, J.R. (1969) « Speech Acts.» Cambridge University Press ».